دَوْرُ الحديث النبويّ وأثرها في خدمة السنّة النبويّة وعلومها

د. عبد السميع محمّد الأنيس (*)

(*) أستاذ مساعد، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة.



ملخص البحث:

نشأت دار الحديث في إطار العمل المؤسسي الخيري المنظم لخدمة السنة النبوية وعلومها، وأول من قام بذلك الملك نور الدين محمود زنكي (تـ٥٦٩هـ)، في دمشق.

ثم تتابع إنشاء الدُّوْر في مصر، وبلاد الشام، والعراق وغيرها، وتعاون في إنجاح هذا المشروع: الملوك، وكبار موظفي الدولة، والعلماء، والتجار، والنساء، وقد تم رصد أكثر من (٢٠) داراً أسست لهذا الغرض، وقيام هذه الدُّوْر إحدى ثمرات هذا التعاون المبارك في خدمة السنة النبوية في ذلك العصر.

كان لهذه الدُّوْر نظامها الإداري المتميز اعتمد على مجموعة من الموظفين، أهمهم: شيخ الدار، ووفرت لهم متطلبات الحياة الكريمة.

ولها نظامها المالي الناجح؛ لأنه يعتمد على نظام الوقف، ويديره موظف يسمى: ناظر الوقف، وله نائب يساعده، وقيم يباشر العمل.

كشف البحث عن عدة أهداف حققتها الدُّوْر، منها :

أ - المحافظة على السنة النبوية: بدراستها، وتدريسها، ونشرها بين طبقات الأمة، وخدمتها بالشرح والتحليل، والتأليف، وخدمة علومها، وتخريج علماء متضلعين فيها، ويعد العصرالذي ازدهرت فيه الدُّوْر (٥٥٠-٩٠٠هـ) من العصور الذهبية في خدمتها.

ب - كانت رداً على التيارات البدعية التي تذهب بصفاء الإسلام ونقائه.

ج - تثبيت هوية الأمة ممثلة بتاريخها وحاضرها،وهوية مدنها التي كانت تواجه مخاطرالاستعمار الصليبي.

وأوصى الباحث بالاستفادة من هذه التجربة، وذلك بإنشاء دُوْر الحديث في مختلف الأقطار الإسلامية؛ لتقوم بواجب المحافظة على السنة وعلومها، والنهوض بها بأسلوب يتناسب مع روح العصر ومقتضياته، سواء في الأهداف

أو الأساليب، والاستفادة من التقدم العلمي، سواء أكان في العلوم أم في وسائل الاتصال.

وأن يكون لها نظام مالي مستقل يعتمد نظام الوقف أساساً في تغطية احتياجاتها المادية، وأن تشتمل على خمسة أقسام، **تخصصي**، وثقافي **عام**، **وبحثي، وإعلامي، وتوثيقي**.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الحديث النبوي الشريف يتبوأ منزلة رفيعة عند المسلمين ذاك لأنه المصدر الثاني من مصادر التشريع، وهو بمثابة البيان التفصيلي لنصوص القرآن الكريم وأحكامه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

ولهذا قرن الحق تبارك وتعالى بين هذين المصدرين في كثير من آي الذكر الحكيم، معظماً شأنهما، منوهاً بفضلهما، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٢] والحكمة المذكورة في هذه الآية هي: السنة كما قال علماء التفسير[٣].

وإذا كان الله تعالى قد تكفل بحفظ القرآن فلا يطرأ عليه تحريف ولا تبديل بنص قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[٤] فمما لا شك فيه أن كلام النبوة داخل في عموم هذا الوعد الإلهي، وهو محفوظ بحفظ الله من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

ونجد مصداق هذا الحفظ الإلهي بأن هيأ الله لذلك رجالاً من العلماء والحكام جعلهم وسيلة لإنجاز وعده.

أما العلماء: فبما وضعوا من علوم، وأرسوا من قواعد، وبما سنوا من قوانين هي أصح وأدق طريق علمي في نقل الروايات واختبارها. وأما الحكام، فبما أمروا به من جمع للسنة، وبناء دور الحديث، وماأوقفوا عليها من وقوف

---

(١) النحل: ٤٤.

(٢) آل عمران: ١٦٤.

(٣) انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ص٩٥.

(٤) الحجر: ٩.

كثيرة لديمومة عملها، واستمرار نشاطها في حفظ السنة، والمحافظة عليها، ونشرها على أكمل وجه، وأحسن حال.

ويأتي في مقدمتهم: الخليفة الراشد **عمر بن عبد العزيز** الذي يعد -بحق- الرائد في خدمة السنة عندما أمر بتدوينها في مطلع القرن الهجري الثاني، وهو أول حفظ لها[(١)].

ومنهم: السلطان **نور الدين محمود زنكي** ، الذي يعد رائد العمل المؤسسي الخيري المنظم في خدمة السنة النبوية وعلومها، والمحافظة عليها، والاستفادة منها في معالجة المشكلات التي كانت تواجهها الأمة في عصره، وذلك عندما بنى أول دار للحديث في العالم الإسلامي سميت بدار الحديث النورية، ومقرها في دمشق، ثم تتابع بناء دور الحديث في مصر وبلاد الشام، والعراق على يد المسؤولين والأغنياء في القرنين السابع والثامن الهجريين، وتعد تلك الفترة العصر الذهبي للسنة النبوية وعلومها.

وفي هذا العصر تنتظر السنة النبوية من يقوم بالمحافظة عليها، ونشرها تحقيقاً للوعد الإلهي بحفظها، محافظةً تناسب العصر الذي نعيش فيه؛ لاسيما ونحن نشهد ثورة معلوماتية لا مثيل لها.

والنسخة الإلكترونية الناقصة من السنة النبوية الموجودة بين أيدي الناس سواء في الأقراص المدمجة أو في مواقع الشبكة العنكبوتية تعاني من فوضى عارمة في كثير من مخرجاتها لها آثارها الخطيرة -حالاً ومستقبلاً- على السنة النبوية مما يعرض المصدر الثاني من مصادر التشريع للخطر العظيم

نعم يستثنى من ذلك بعض البرامج، وبعض المواقع، وهي على تفاوت في إتقانها نستطيع أن ننطلق منها بعد إتمام ما فيها من نقص، و إصلاح ما فيها من أخطاء.

إن ما تتعرض له السنة النبوية اليوم سواء في التوثيق الذي شرحنا بعض

---

(١) انظر كتاب تدوين الحديث للأستاذ مناظر أحسن الكيلاني ص٧٦.

مشكلاته، أم في التهميش الذي تلاقيه في بعض مجتمعات المسلمين، وفي كثير من وسائل الإعلام، أو في جهل كثير من المسلمين لعدد من حقائق السنة ومفاهيمها لعدم وجود شروح كافية تتكلم بلغة العصر وأدواته، كل ذلك يستدعي من العلماء والحكام الإسراع في المعالجة، وتصحيح المسيرة.

وهو جهد عظيم لا يستطيع الاضطلاع به إلا رجال يتحقق بهم الوعد الإلهي بحفظ سنة نبيه، ويحظون بهذا الشرف إلى يوم الدين، والأمة مدعوة للقيام بأعباء هذه المهمة.

وعليه فإن هذا البحث يتناول بالدرس والتحليل جانباً من جوانب العمل المؤسسي الخيري المنظم في خدمة السنة النبوية متمثلاً في دُوْر الحديث النبوي الشريف، ويحاول إبراز أثرها في خدمة السنة النبوية وعلومها. ولم أطلع حسب علمي على دراسة بحثت هذا الموضوع، وإنما هناك عدد من الدراسات تناولت دُور الحديث من الناحية التاريخية، وقد استفدت منها.

وهي محاولة للإجابة على عدة أسئلة، وهي: متى تأسست دُور الحديث النبوي؟

وما دوافع تأسيسها، وظروف نشأتها؟ وما هي أهميتها وأهدافها؟ وما أثرها في المحافظة على السنة النبوية، ونشر مفاهيمها؟ وهل كان لها أثر واضح في إعداد المتخصصين في الحديث النبوي الشريف وعلومه؟ وما الخدمات التي قدمتها للإسلام والمسلمين؟.

وهل يمكن الاستفادة من هذه التجربة في عصرنا الحاضر؟ مع الأخذ بالاعتبار الأسلوب الذي يتناسب مع روح العصر ومقتضياته، سواء في الأهداف أو الأساليب، والاستفادة من التقدم العلمي سواء أكان في العلوم أم كان في وسائل الاتصال..

وقد كتبت في ذلك تصوراً أولياً لعله يجد من الباحثين تسديداً أو تصويباً.

أما عن منهجي في البحث: فقد اتبعت فيه المنهجية القائمة على الاستقراء،

والمقارنة، والتحليل، والنقد، والاستنتاج، مع الرجوع إلى المراجع الأصلية، وتوثيق النصوص - ولاسيما النبوية منها - حسب الطريقة العلمية في ذلك. كما اتبعت المنهج الوصفي عند الحاجة إليه.

أما خطتي في البحث فقد اشتملت على مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة:

الفصل الأول: ظروف نشأة دُور الحديث، وملامح من نظامها الإداري، والمالي.

وفيه ثلاثة مباحث، المبحث الأول : ظروف نشأتها.

المبحث الثاني : ملامح من نظامها الإداري.

المبحث الثالث: الوقف وأثره في نجاح نظامها المالي.

الفصل الثاني : أهميتها، وأهدافها. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أهميتها.

المبحث الثاني: أهدافها.

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية لدُور الحديث في بلاد الشام ومصر والعراق.

أهم هذه الدور، ونماذج منها:

النموذج الأول : دار الحديث النورية.

النموذج الثاني: دار الحديث الكاملية في القاهرة.

النموذج الثالث: دار الحديث الأشرفية في دمشق.

النموذج الرابع : دار الحديث البهائية في حلب الشهباء.

النموذج الخامس: دار الحديث السكرية في دمشق.

النموذج السادس: دار الحديث السيفية في القدس.

الفصل الرابع: نحو إحياء دور الحديث؛ لتكون أنموذجاً للعمل المؤسسي في خدمة السنة النبوية في العصر الحاضر، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الأهداف.

المبحث الثاني : الأساليب.

أما الخاتمة: فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي خلصت إليها، والتوصيات التي تحقق أهداف البحث.

ومن الله أستمد العون، فما كان من صواب فمن الله، وأحمد الله الذي هداني إليه، وما كان غير ذلك فأستغفر الله منه، ورحم الله من أهدى إلي عيوبي.

وصلى الله على النبي الأمي محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الأول
ظروف نشأة دُور الحديث، وملامح من نظامها الإداري، والمالي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول
ظروف نشأتها

دور الحديث، هي: عبارة عن مؤسسات تعليمية عليا، ذات أهمية كبرى، تهتم بالحديث النبوي وعلومه، دراسة، وتدريساً، وتأليفاً، ولا يتولى الإشراف عليها، إلا من عرف بالعلم الغزير، والفضل الكبير، وشهد له بالتفوق على الأقران، واستوفى شروط الواقف، وهي تتمتع بالتقدير والاحترام، وتتوافر على أنظمة داخلية ثابتة، ومناهج راسخة[(١)].

نشأت دار الحديث في إطار العمل المؤسسي الخيري المنظم في خدمة السنة النبوية في حدود النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وأول من قام بذلك: الملك المجاهد نور الدين محمود زنكي (تـ٥٦٩هـ)، وسميت تلك الدار بـ(دار الحديث النورية) ومقرها دمشق.

ومن المعلوم: أن هذا القرن تم به تحرير بيت المقدس من الصليبيين على يد الملك المجاهد صلاح الدين الأيوبي، بعد أن مهد لذلك الملك نور الدين محمود رحمهما الله[(٢)]. وإنشاء هذه الدار إضافة إلى المدارس الفقهية الأخرى التي تم إنشاؤها في هذه الفترة لها دلالاتها في إدارة الصراع على مختلف الجبهات، ومنها: الجبهة الثقافية التي لا تقل أهمية عن الجبهة العسكرية. ثم

---

(١) انظر كتاب دور الحديث في العالم الإسلامي للأستاذ الحسين وكاك ص١١٧ باختصار وتصرف.

(٢) انظر تفصيل ذلك، ومصادره: الفصل الثالث.

تتابع إنشاء مثل هذه الدُّوْر في مصر وبلاد الشام والعراق على يد الملوك، والأمراء، وكبار موظفي الدولة، والعلماء، والتجار، والنساء في القرنين السابع والثامن الهجريين، وذلك في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية.

وقد تم رصد أكثر من (٢٠) دارا أقيمت لهذا الغرض، وهو مشروع ضخم كانت له آثار عظيمة في خدمة الحديث النبوي الشريف وعلومه، وتحصين المجتمع الإسلامي من الانحرافات العقدية والفكرية.

المبحث الثاني
ملامح من نظامها الإداري

وكان لدور الحديث نظام إداري ينظم شؤون التدريس وتسيير الأمور، وقد اشتملت على عدد من الوظائف، حسب شرط الواقف في ذلك.

قال العلامة ابن بدران: - وهو يتحدث عن وقف دار الحديث الأشرفية - "وقد بين الواقف رحمه الله في كتاب الوقف الميادين التي يصرف فيها، وما يجب على الناظر القيام به لعمارة الدار، وحدد واجب العاملين بها، وشيوخها وأولادهم، وعين قدراً مالياً من الأحباس لشراء الأوراق وآلة النسخ من حبر وأقلام، وللجوائز التي تعطى لبعض الطلبة النبغاء الذين يحفظون بعض كتب الحديث، والمنح التي تعطى لبعض الشيوخ الذين لهم علو سماع، والضيوف الواردين عليها من بلاد الشام ومن غيرها، وأعطى للناظر الحق في أن يتصرف التصرف المفيد والمناسب للدار، واعتنى: بالمؤذن، والقيم، والخازن، والبواب، والقارئ، والشيخ، والقراء، والطلبة، وغيرهم من كل ما له علاقة بالدار. ومكن شيخ الدار من تقديم المنح السخية لكل الشيوخ الذين عندهم السند العالي، واستحضارهم في الدار لاستماع ما عندهم، وتزويد المشتغلين بالحديث بكل ما يحتاجون إليه، وتزويد مجالس الحديث بالشمع وعود البخور، والقائمين بها بالإطعام والإكرام حسبما تساعد به ميزانية الأوقاف"[١].

(١) منادمة الأطلال ص ٢٨.

ونظراً لعثوري على وقفية دار الحديث الأشرفية، التي توسعت ببيان ذلك، فسوف أعتمدها في تعيين الوظائف فيها، وهي أنموذج لما كان يجري عليه العمل في دور الحديث الأخرى، فمن هذه الوظائف:

١ - **مشيخة الحديث**: وهي أهم منصب في الدار، وكانت مهمته - طبقاً لما ذكره السبكي -: "أن يسمع المحدثين، ويستمع لما يقرؤونه عليه لفظة لفظة، بحيث يصح سماعهم، وليصبر عليهم، فإنهم وفد الله تعالى. ومتى وجد جزء حديث أو كتاب تفرد شيخ بروايته كان فرض عين عليه أن يسمعه"(١).

ويرى بعض الدارسين: "أن منزلة المحدث ارتفعت إلى مرتبة الفقيه في النظام المدرسي بعد إنشاء دور الحديث، فهو يرى أن مدرس الفقه هو الذي يشغل كرسي الأستاذية في المدرسة، أما المتخصصون في الحديث والقرآن والنحو فكانت منزلتهم أدنى من منزلة أستاذ الفقه، لأن موضوعات تخصصهم كانت مواداً مساعدة بالنسبة للفقه، ولكن مع إنشاء دار الحديث ارتفعت مكانة تدريس الحديث.."(٢).

وتعيين شيوخ الدُّوْر إنما يتم عن طريق الواقف، سواء أكان المسؤول الأول في الدولة أو غيره، وذلك من خلال وضع شروط، فحيثما وجدت في عالم قدمه العلماء.

وأضرب هنا مثالا على ذلك: دار الحديث الأشرفية، فقد اشترط واقفها لها شروطاً، من هذه الشروط: أن يتولاها أعلم رجل بالحديث في دمشق، فإن اجتمع من وصف بالرواية ومن عرف بالدراية قدم الأول منهما.

---

(١) معيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين السبكي ص١١١.

(٢) انظر نشأة الكليات لجورج مقدسي ترجمة محمود سيد محمد ص٢٣٥
Ash'ar? and the Ash'arites in Islamic Religious History I Author(s): George Makdisi Source: Studia Islamica, No. 17 (1962), pp. 44Ù45 Published by: Maisonneuve & Larose
Rise of Colleges: Institutions of Learning in Islam and the West. Author: George Makdisi,(1981), pp. 211-212 Published by: Edinburgh university press

وجاء في تلك الشروط أن يجلب إليها كل من له ميزة في رواية الحديث ليست في غيره، سواء أكان في دمشق أم غيرها؛ ليستفاد من علمه؛ ولهذا خرجت أئمة في الحديث وعلومه.

وعندما ولي الحافظ المزي مشيخة دار الحديث النورية[١] كتب له تلميذه العلامة صلاح الدين الصفدي[٢] التوقيع بذلك، بين فيه أسباب اختياره لهذه الوظيفة، والمهام التي يتوجب عليه القيام بها، وهو يمثل خطاب التكليف بالوظيفة ومهامها في عصرنا، ولأهمية هذا التوقيع في إلقاء الضوء على جانب من النظام الإداري لدُور الحديث، ممثلا بشيخ الدار، أنقله بتمامه

قال رحمه الله: "وكنت قد كتبت أنا له توقيعاً بمشيخة دار الحديث النورية، وذلك في المحرم سنة أربعين وسبع مئة، ونصه:"

رسم بالأمر العالي لا زالت أوامره المطاعة تزيد العلم الشريف جمالاً، وتزينه بمن يفيده كمالاً، أن يرتب المجلس العالي الشيخي الجمالي، في ثقة كذا بأنه الثقة، والعالم الذي لغيره المقت وله المقة[٣]، والمحدث الذي متى فاه بما عنده بادر كل أحد بالقبول وصدقه، والحبر الذي إذا تكلم نسخ كلام من تقدم بأقواله المحققة، والحافظ الذي اجتحف سيله ابن نقطة فأغرقه، والناقد الذي كدر على ابن معين صفوه ورنقه[٤]، والمصنف الذي شيب من ابن أبي شيبة مفرقه، والمسند الذي لو عاصره عبد الرزاق حرمه الرحلة إليه مما رزقه،

---

(١) ستأتي ترجمته في الفصل الثالث عند الكلام عن أهم شيوخ دار الحديث النورية.

(٢) هو الإمام العالم الأديب البليغ صلاح الدين بن خليل، ولد في صفد سنة (٦٩٧هـ) وسمع الكثير، وأخذ عن ابن سيد الناس، والتقي السبكي، والمزي، والذهبي، وغيرهم. وباشر كتابة الإنشاء بمصر ودمشق، ثم وكالة بيت المال بالشام، توفي في دمشق سنة (٧٦٤هـ). انظر شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي ٦/ ٢٠٠.

(٣) المقت في اللغة: أشد البغض، والمقة: المحبة، كما في النهاية لابن الأثير، باب الميم مع القاف. وصفه بشدة محبة أهل العلم والفضل له، وإقبالهم عليه، وانصرافهم إليه، وتركهم لغيره كحال شخص ترك إنساناً وابتعد عنه من شدة بغضه له.

(٤) الترنيق: قيام الرجل لا يدري أيذهب أم يجيء كما في النهاية لابن الأثير، مادة رنق. أراد أن يقول: إن ابن معين وهو الإمام الناقد يقف متعجبا من إمامة المزي في النقد.

والمتأخر الذي لا يعرف بعد الدارقطني مثله، وربما تقدمه في فنه المحرر وسبقه.

فليباشر ما فوض إليه مباشرة يتضوع من نشر السنة بها النشر، ويكون للحديث الشريف حفظ يدوم إلى الحشر، مجتهداً في البيان للطلبة، والإعانة لهم على سلوك المعرفة، فمحجتها بالغموض منتقبة، لأن تهذيب كماله ليس للبدر في تمامه كماله، وأطرافه سار في الأطراف، فما ينكره علماء الحديث ولا رجاله، وإتقانه للأسماء إتقان تزأر في غابه أسوده وأشباله[1]، ومحله من الحفظ محل يعز على صاحب الاستيعاب مناله، وإعرابه، لو عاصره أبو البقاء لم يظفر بلبابه، وتصريفه، لو عاينه ابن جني ما دخل سوقه على تصنيفه الملوكي برفع حجابه، ولغته لو سمعها ابن الأعرابي ما نقل شيئاً عن أعرابه.

ولينزل الطلبة منزل البنين في الحنو عليهم عند الهفوة، ولا يكن فيه قسوة المعلمين على من في ذهنه فترة، ولم يكن من الفهم في الذروة، وليجل عليهم حسن وجه الإقبال، وإذا كان المؤمنون إخوة فيوسف أحسن الإخوة، حتى يوضح لهم ما أبهم من الأسانيد المظلمة، والأسماء التي هي لتساوي صورها مبهمة، والألفاظ التي هي لولا القرائن موهمة.

ولينبه على الصحيح إذا ورد، والحسن إذا أضاء وجهه لمن انتقد، والضعيف إذا اعتل متنه ولم يصح له سند، والموضوع الذي لا يعرفه إلا من امتاز برتبته وانفرد، وليحرر لهم الألفاظ إذا رواها، ويحقق مخارجها الصحيحة الفصيحة التي فاخر بها هذا اللسان العربي وباهى، ويحترز في أدائها، فقد قال ﷺ : "نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها"[2]، عاملاً في ذلك بشرط الواقف أثابه الله فيما يبدي ويعيد، ولا يتعد ما قرره فإن الله تعالى يرى عمله، وقد استفاض في الواقف أنه شهيد، والوصايا كثيرة.

---

(١) وصف إتقانه لأسماء الرواة بزئير الأسد كناية عن قوته في حفظها، وضبطه لها.

(٢) رواه الترمذي في جامعه، كتاب العلم، باب ماجاء في الحث على تبليغ السماع برقم (٢٦٥٨) عن عبد الله بن مسعود.

والخط الكريم أعلاه حجة في ثبوت العمل بما اقتضاه، والله الموفق بمنه وكرمه إن شاء الله"[١].

اشتمل هذا النص على عدة أمور، منها: إشارته إلى المؤهلات التي توفرت بالحافظ المزي لتولي مشيخة الدار، ومهامه التي عليه أن ينهض بها: من نشر للسنة، والمحافظة عليها، وتعامله مع الطلبة من حيث البيان لهم، وعدم القسوة عليهم.

وأن يراعي في تدريسه: توضيح الأسانيد المظلمة، والأسماء المبهمة، وتمييز الحديث الصحيح والحسن والضعيف والموضوع، وتحرير الألفاظ عند الرواية بتحقيق مخارجها الصحيحة البعيدة عن العجمة.

وأن يراعي في كل أعماله شرط الواقف، لأنه يمثل الأنظمة المقررة في ذلك.

٢ - **نائب شيخ الدار:** وممن تولى هذا المنصب: الشيخ صدر الدين بن سليمان الجعفري الحوراني، المعروف بخطيب داريا (ت٧٢٥) كان ينوب عن ابن الشريشي (ت٧١٨) في مشيخة دار الحديث الأشرفية[٢].

٣ - **الأستاذ الزائر:** جاء في نص الوقفية: "وإذا ورد شيخ له علو سماع، يرحل إلى مثله، فله أن ينزله بدار الحديث، ويُعطى كل يوم درهمين، فإذا فرغ أعطي ثلاثين ديناراً، هذا إذا ورد من غير الشام، وإن كان صاحب العلو من المستوطنين بدمشق، واقتضت المصلحة استحضاره في الدار لاستماع ما عنده من العالي، فللناظر أن يعطيه ما يليق بحاله من عشرة دنانير فما دون ذلك"[٣]. وهذا النص يفيد أن دور الحديث ومدارس العلم، عرفت نظام الأستاذ الزائر المعمول به في الجامعات اليوم قبل قرون، وعنها أخذ.

---

(١) من كتابه "أعيان العصر" ٤/ ٢٢١٤.
(٢) انظر الدارس ١/ ٤٤.
(٣) انظر دار الحديث الأشرفية ص٤١.

وممن تولى هذه الوظيفة الإمام الكبير المسند الحسين بن المبارك الزبيدي البغدادي (ت٦٣١).

قال الإمام الذهبي: "كان إماماً ديناً خيراً، متواضعاً، صادقاً. لما ورد دمشق فرح موسى الأشرف بقدومه، وسمع منه الصحيح في أيام معدودة، وأنزله إلى دار الحديث الأشرفية، .. ورد إلى بلده، فقدم متعللاً"..[١]

٤ - **النقيب (المرتب)**: ذكر الحافظ ابن حجر أن الإمام محمد بن أحمد بن تمام بن السراج (ت٧٤٩) كان نقيب دار الحديث[٢].

٥ - **القارئ**: (قارئ الحديث) ذكر أبو شامة أن الإمام المجد الإسفراييني، كان قارئ دار الحديث الأشرفية من أول ما فتحت إلى سنة وفاته (٦٤٨هـ)[٣].

ومنهم: الإمام المجود والمحدث، مجد الدين يوسف المعروف بابن المهتار (ت٦٨٥) كان قارئ دار الحديث الأشرفية[٤].

٦ - **المسمع**: وممن كان يسمع الحديث بدار الحديث الأشرفية: الشيخ الكبير المسند المعمر أحمد بن أبي طالب الصالحي، المعروف بابن الشحنة (ت٧٣٠)، قرئ صحيح البخاري عليه نحواً من ستين مرة، وغيرها[٥]

٧ - **خازن الكتب**: ومهمته رعاية الكتب وترميمها، وإعلام الناظر أو نائبه ليصرف فيه من فعل الوقف ما يفي بذلك، وكذا إذا مست الحاجة إلى تصحيح كتاب أو مقابلته، وممن ولي هذه الوظيفة: أحمد بن الحسين بن علي بن بشارة الشبلي (ت٧٤٤)[٦]، وكان طالباً بها.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٢/٣٥٧
(٢) الدرر الكامنة ٣/٣١٢
(٣) ذيل الروضتين ١٨٦ وانظر سير أعلام النبلاء ٢٣/٢٥٨
(٤) الدارس ٢/٤٦
(٥) انظر البداية والنهاية ١٤/١٥٧
(٦) انظر الدرر الكامنة ١/١٢٥

٨ - **الناسخ**: وهو من يقوم بنسخ الكتب، وبالكتابة في مجالس الإملاء.

٩ - **الإمام**: وممن تولى هذه الوظيفة محمد بن علي الأنصاري (ت٧٥٠) أمّ بدار الحديث الأشرفية[(١)].

ومنهم: يحيى بن الإمام زين الدين عبد الله الفارقي (ت٧٦٣) أمّ بالأشرفية، وكان خازن الكتب بها[(٢)].

١٠- **المقرئ**: وممن ولي هذه الوظيفة: الإمام العالم البارع سيف الدين أبوبكر الحريري البعلبكي الدمشقي، (ت٧٤٧) فقد ولي الإقراء في دار الحديث الأشرفية[(٣)].

١١- **المؤذن**:

١٣- **البواب**: وممن عمل بهذه الوظيفة علي بن محمد بن المؤدب (ت ٧٩٥) قال ابن رافع: سمع من عمر بن القواس معجم ابن جميع، وحدث. وكان بواب دار الحديث[(٤)].

وأما الطلاب: فقد كان ينص في الوقفية على عددهم حسب استيعاب الدار لهم، وهم على قسمين: أ - المشتغلين: (أي: طلاب العلم المتفرغين) ب - السامعين: (أي: طلاب العلم غير المتفرغين).

وقد جاء في نص الوقفية: "فيجعل لكل من المشتغلين ثمانية دراهم ومن زاد اشتغاله زاده، ومن نقص نقصه. ويجعل لكل من السامعين أربعة أو ثلاثة، ومن ترجح منهم زاد، ومن كان فيه نباهة جاز إلحاقه بالثمانية، ومن حفظ منهم كتاباً من كتب الحديث فللشيخ أن يخصه بجائزة، ومن انقطع منهم إلى الاشتغال بالحديث، وكان ذا أهلية، يرجى معها أن يصير من أهل المعرفة، فللشيخ أن يوظف له تمام كفاية أمثاله بالمعروف"[(٥)].

---

(١) انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٤/ ٦٥

(٢) انظر المصدر السابق ٤/ ٤١٠

(٣) انظر الدارس ٢/ ٤٦

(٤) الوفيات لابن رافع السلامي ٢/ ٢١٤

(٥) انظر دار الحديث الأشرفية ص٤١

ولكن ما الأمر لو نقص الوقف عن سداد رواتب الموظفين فما العمل ؟

الجواب: أنه جاء في نصوص الوقفية: "ومهما كان في مغل الوقف نص بحيث لا يفي بجميع الجهات المذكورة فليجعل النقص في الأمور الزائدة دون الأصلية المهمة، وليكمل المؤذن والقيم والخازن والبواب والقارئ والشيخ وقراء السبع وطبقة المشتغلين، ويخصُّ بالنقص والحرمان السامعين، وإن زاد النقص وتناهى إلى الأهلية والقائمين بها، وزع عليها على حسب ما يراه الناظر. وإذا فضل من مغل الوقف فاضل فللناظر أن يشتري به ملكاً يقفه على الجهات المتقدمة. وله أن يستفضل شيئاً من المغل لذلك"[١].

المبحث الثالث

الوقف وأثره في نجاح نظامها المالي

والحق: إن المسؤولين المسلمين، وأغنياءهم قاموا بواجب مسؤولياتهم، وعملوا على إنجاح هذا المشروع، وهيأوا له كل أساليب النجاح من أبنية جميلة، ورواتب مجزية، وسكن مريح شمل أساتذة العلم وطلابه، وأغدقوا عليهم العطاء بسخاء.

وضمنوا استمرار ذلك كله عن طريق نظام مالي دقيق يعتمد في الدرجة الأولى على ما يوقف على هذه الدُّوْر من أوقاف[٢].

وقد قابل شيوخ الدُّوْر والطلبة هذه العناية بمثلها، فأقبلوا على مهمتهم الإقبال كله، وكانوا مخلصين في العطاء منقطعين للعلم وأهله، وعلّموا فأحسنوا التعليم، وصنفوا فأجادوا التصنيف، وكان من ثمار هذا الجهد الذي بذل، هذه الأجيال من العلماء الأفذاذ الذين تداعوا من كل حدب وصوب للقيام بهذه

---

(١) انظر المصدر السابق ص٤١.

(٢) وللاطلاع على نموذج من أوقاف الأمراء على هذه الدُّوْر ينظر كتاب "الدارس في تاريخ المدارس" ١/ ٩٤.

الأمانة، وهذه المكتبة العظيمة في الحديث النبوي الشريف وعلومه التي كانت وما تزال معينا لا ينضب للمسلمين إلى يومنا هذا.

"ولعل نبوغ كثير من شيوخها وطلابها يعود إلى نظام وقفيتها، والشروط التي اشترطها واقفها.

ومن يقرأ وقفيتها التي لازالت محفوظة في كتب التاريخ[١]، وبعضها منقوش على جدارها الشرقي، يجد فيها منهجاً واضحاً في تحقيق أهدافها. ومن أجل ذلك أنشأ الواقف ديواناً ينظم شؤونها وأوقافها، وجعل له نظاماً يبين واجبات ناظر الوقف من رعاية لعقاراتها، وتنمية لأوقافها، وطرق لصرف وارداتها إلى المستحقين: شيوخاً، ومعيدين، وطلاباً، وسامعين، ومشتغلين بالحديث، وأئمة، ومؤذنين، وقيمين، وخازنين للكتب، وناسخين.

وأوجب نظامها على الناظر أن يرعى مصالح الطلبة، ويقوم بما يحتاجونه من ورق وأدوات نسخ، وأقلام غير ما يصرف لهم من رواتب شهرية، وما يمنح لهم من المكافآت والأعطيات في المناسبات المعينة كل بحسب منزلته وجهوده. وبذلك وفرت أوقاف الأشرفية لشيوخها، وقرائها، وطلابها، والعاملين بها جميع متطلباتهم التي تفي باحتياجاتهم. وفوق ذلك فقد عيّن في الوقفية مقدار معين من المال ينفق على مصالح دار الحديث النورية التي بجوارها"[٢].

وعليه فإن وظيفة ناظر الوقف من الوظائف المهمة في دور الحديث، لا سيما إذا كانت الدار كبيرة، ولها أوقاف عظيمة. ويعين له نائب يساعده في حال حضوره، وينوب عنه وقت غيابه.

ومن الموظفين في متابعة القضايا المالية: ما يسمى بـ القيم، وهو

---

(١) انظر للأهمية نص وقفيتها في كتاب "اللمعات البرقية في النكت التاريخية" لابن طولون الدمشقي، ص٢٢، وكتاب "فتاوى الإمام تقي الدين السبكي" ٢/١٠٨-١١٥فإنه شرح بعض نصوصها.

(٢) دار الحديث الأشرفية ص١٥-١٦"بتصرف.

المشرف على الشؤون الماليه للدار مع ناظر الوقف، وتحت إشرافه، أو يعمل بمفرده في الأوقاف الصغيرة(١).

وقد يكون المدرس هو الناظر، كما في دار الحديث السكرية، فقد كان الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي هو المدرس فيها، والناظر عليها، كما سيأتي بيانه.

ولا شك أن الجهود التي بذلت في خدمة السنة النبوية من خلال هذه الدور حفظت للأمة مصدرها الثاني، وكان لها أثر واضح في وحدتها الثقافية والفكرية والعقدية والسلوكية، كما سيأتي بيانه عند الكلام عن أهميتها.

إن إنجاز هذا المشروع لم يكن ليتم لولا تعاون الأمراء والعلماء الربانيين، وقيام هذه الدُّوْر إحدى ثمرات هذا التعاون المبارك في خدمة السنة النبوية في ذلك العصر.

أنكر هذا لعله يكون مثالاً يحتذى به في إعادة هذه التجربة في العالم الإسلامي اليوم.

---

(١) انظر نشأة الكليات ص٢١١).

(٢) (أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص٢٩ من طريق مهنا بن يحيى، قال: سألت أحمد - يعني ابن حنبل- عن حديث معان، فقلت له: كأنه كلام موضوع. فقال: لا، هو صحيح. فقلت له: ممن سمعته أنت؟ فقال: من غير واحد، قلت: من هم؟ قال: حدثني به مسكين، إلا أنه يقول: عن معان، عن القاسم بن عبد الرحمن. قال أحمد: **معان بن رفاعة لا بأس به**".
وأخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث، ص٢٨، ومن طريقه الحافظ صلاح الدين العلائي في بغية الملتمس ص٣٤ من رواية **محمد بن سليمان بن أبي كريمة** عن معان بن رفاعة، عن أبي عثمان النهدي، عن أسامة بن زيد، **مرفوعاً**.
وقال العلائي عن هذه الرواية: "هذا حديث حسن غريب صحيح" وأقره الحافظ البقاعي، كما في كتابه النكت الوفية ١/٦٠٢، والسخاوي في كتابه الغاية شرح الهداية ص١٣، إذ قال:" وهو من جميع طرقه ضعيف، كما صرح به الدارقطني، وأبو نعيم، وابن عبد البر، لكن يمكن أن يتقوى بتعددها، ويكون حسناً، كما جزم به العلائي". =

وصدق رسول الله ﷺ عندما قال: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"[(١)].

قال الإمام النووي:

"وهذا إخبار منه ﷺ بصيانة العلم وحفظه، وعدالة ناقليه، وأن الله تعالى يوفق له في كل عصر خلفاً من العدول يحملونه، وينفون عنه التحريف فلا يضيع، وهذا تصريح بعدالة حامليه في كل عصر، وهكذا وقع - ولله الحمد - وهذا من أعلام النبوة"[(٢)].

= وحسنه القسطلاني في إرشاد الساري ١/٤، وابن القيم كما في كتابه طريق الهجرتين ١/٧٧١، وجمع جملة من طرقه في مفتاح دار السعادة ١/١٦٣ وكلامه فيه مشعر بثبوت الحديث عنده، وقواه لشواهده ابن الوزير في تنقيح الأنظار المطبوع مع شرحه توضيح الأفكار للصنعاني ٢/١٢.

قلت: في سنده معان بن رفاعة وثقه أحمد، وعلي بن المديني، وأبو داود، وغيرهم، وضعفه يحيى بن معين وغيره. وللتوسع في ذلك" انظر تهذيب الكمال للمزي ٢٨/ ١٥٩.

وهو لم ينفرد بهذا الحديث، بل تابعه الوليد بن مسلم، وحديثه أخرجه ابن عدي في الكامل ١/١٥٣، وقال: رواه الثقات من طريق **الوليد بن مسلم** عن إبراهيم العذري حدثنا الثقة من أصحابنا، أن رسول الله ﷺ، فذكره.

وخلاصة القول في هذا الحديث: أنه حديث **مقبول** عند عدد من حفاظ الحديث، منهم: الإمام أحمد، وابن القيم، والعلائي، والبقاعي، والسخاوي، والقسطلاني، وابن الوزير وغيرهم.

وضعفه عدد من المحدثين، منهم: الدارقطني، وأبو نعيم، ومال الحافظ ابن كثير إلى تضعيفه، كما في اختصار علوم الحديث ص ٩٦. والحافظ العراقي في كتابه التبصرة ١/٢٩٨.

والراجح: أنه حديث مقبول؛ لتعدد طرقه وشواهده. وقد جاء هذا الحديث من طرق أخرى عن عدد من الصحابة: قال الحافظ السخاوي في فتح المغيث ٢/١٧١: "وسأحقق الأمر فيه إن شاء الله، فإنه عندي من غير مرسل إبراهيم العذري عن أسامة بن زيد، وجابر بن سمرة، وابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو، وابن مسعود، وعلي، ومعاذ، وأبي أمامة، وأبي هريرة، رضي الله عنهم".

(١) "تهذيب الأسماء واللغات" للنووي ١/١٧.

الفصل الثاني
أهميتها، وأهدافها

المبحث الأول
أهميتها

تعد دُور الحديث من أهم المؤسسات التعليمية التي خدمت السنة النبوية وعلومها في تاريخنا الإسلامي، وقد نالت شهرة واسعة، وأصبحت موئلاً للعلماء الكبار، وقد تردد ذكرها في كتب التاريخ، وملأت تراجم شيوخها صفحاته، ومنها تخرج مئات المحدثين على مدى العصور

وتعد الفترة التي ازدهرت فيها الدُّوْر (٥٥٠-٩٠٠هـ) من العصور الذهبية في خدمة السنة النبوية المطهرة وعلومها، وكانت وما تزال مصدراً لا ينضب للعلماء والدعاة إلى يومنا هذا.

"ففي دور الحديث صنفت أمهات الكتب في الحديث النبوي وعلومه، فكانت مراجع أساسية اشتهرت شهرة فائقة مثل علوم الحديث لابن الصلاح، وتهذيب الكمال، وتحفة الأشراف للمزي، وتلخيص المتشابه لابن ناصر الدين.. وسواها من الكتب العديدة التي يتداولها العلماء وطلبة الحديث.

كما قرئ فيها جل كتب الحديث النبوي الشريف وعلومه، قراءة تحقيق وضبط، ومن يتتبع المخطوطات يجد عليها سماعات وإجازات لما قرئ في هذه الدار "(١).

من هذه الكتب التي قرئت في هذه الدار قراءة إتقان وضبط: كتاب السنن الكبرى للبيهقي، فقد قرئ على الحافظ ابن الصلاح بعد أن ولي مشيختها، وكان أول من درس الحديث فيها.

---

(١) دار الحديث الأشرفية ص١٥. بتصرف.

وللشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله دراسة قيمة عن سماع هذا الكتاب سماها: "صفحة مشرقة من تاريخ سماع الحديث عند المحدثين"، وألحقها بكتابه "الإسناد من الدين"، أنقل بعضها لأهميتها.

قال رحمه الله[١]: "كتاب السنن الكبرى للحافظ أبي بكر البيهقي طبع في الهند في مدينة حيدر آباد من سنة (١٣٤٤) حتى سنة (١٣٥٥) في عشرة مجلدات ضخام.

هذا الكتاب الفخم الضخم حظي بعناية الحافظ ابن الصلاح، وقراءته وسماعه منه، من أوله إلى آخره في (٧٥٧) مجلس، وسمع المجلد الثامن منه عدد كبير (٩٣ محدثاً) في (٩٠) مجلساً في دار الحديث الأشرفية في دمشق، و سترى في هذا السماع أموراً يبدو عليها طابع عناية الحافظ ابن الصلاح، من أهمها:

الضبط لعدد مجالس السماع، وتعيينها بخط الشيخ ابن الصلاح، كالشهادة منه بذلك.

وذكر السامعين عليه بألقابهم، وكناهم، وأسمائهم، وأنسابهم تعريفاً بهم.

وضبط أحوال السامعين: من سمع المجالس كلها بغير فوات، ومن سمعها بفوات، ومن سمعها مع نوم في بعضها أو إغفاء أحياناً، ومن سمعها وهو يتحدث خلال السماع، ومن سمعها وهو ينسخ خلال ذلك، ومن سمع وقد جمع كل ذلك، وتعيين حال كل واحد منهم.

وتاريخ الفراغ من إسماع الشيخ ابن الصلاح هذا المجلد، وتعيين المكان، وتعيين اسم كاتب الأسماء، ومثبت السماع، وذكره أن محضر السماع مكتوب بخطه إلى أمور أخرى تتبدى لدارس السماع بأناة ودقة.

---

(١) ص ٧٧- ١٤٩ باختصار وتصرف.

ويلحظ الناظر في هذا السماع الجامع لهؤلاء الأفاضل الأعلام المحدثين أنه قد اجتمع فيه علماء ومحدثون من مختلف جنبات أرض الإسلام، فإذا لاحظنا الأسماء المنسوبة فيه إلى البلدان والأماكن رأينا فيها - بالنظر إلى ظاهر النسبة المذكورة – العالم الإشبيلي، والموصلي، والكرخي، والحموي، والمقدسي، والطوسي، واليمني، والبخاري، والمصري، والميورقي: المغربي، والصقلي، والتفليسي: الروسي.

ورأينا: الهمذاني، والبعلبكي، والعسقلاني، والبغدادي، والمخرمي، والجيلي، والتونسي، والقزويني، والمراغي، واللبلي: المغربي، والأصفهاني، والآباري، والدمشقي، والإربلي، والفراوي، والتكريتي، والآمدي، والبوني، والقرقسي، والسمرقندي وغيرهم.

هذه عنايتهم في مثل هذا الكتاب الضخم الذي لا ينشط لقراءته وإسماعه إلا مثل الإمام ابن الصلاح ومن تأسى به وبعلو همته.

فكيف تكون العناية التي لقيتها الكتب الستة وغيرها من الكتب المعتدلة الحجم، والتي هي أولى المراجع الحديثية، وقد لقيت من العناية والضبط والإتقان والحفظ والرواية والدراية ما لم يلقه كتاب ألفه إنسان ".

وقد قام بهذه المهمة مئات المحدثين أمثال: ابن عساكر (تـ٥٧١هـ)، وابن الصلاح (تـ٦٤٣هـ)، والمنذري (تـ٦٥٦هـ)، والنووي (تـ٦٧٦هـ)، وابن دقيق العيد (تـ٧٠٢هـ)، وابن تيمية (تـ٧٢٨هـ)، وابن سيد الناس (تـ٧٣٤هـ)، والمزي (تـ٧٤٢هـ)، والذهبي (تـ٧٤٨هـ)، ومغلطاي (تـ٧٥٤هـ)، وتقي الدين السبكي (تـ٧٥٦هـ)، وصلاح الدين العلائي (تـ٧٦١هـ)، وتاج الدين السبكي (تـ٧٧١هـ)، وابن كثير (تـ٧٧٤هـ)، وسراج الدين البلقيني (تـ٨٠٥هـ)، والحافظ العراقي (تـ٨٠٦هـ)، وابن ناصر الدين الدمشقي (تـ٨٤٢هـ)، والحافظ ابن حجر (تـ٨٥٢هـ)، وغيرهم، وكل هؤلاء كانوا من شيوخ هذه الدُّوْر كما سيأتي بيانه في الفصل الثالث.

كما كان" لدور الحديث أثر كبير في توحيد الأساليب التعليمية، والأنظمة التربوية في سائر أقطار العالم الإسلامي، وتسهيل الاتصالات الثقافية بين الشرق والغرب، وذلك بفضل ما خرجته من علماء ومحدثين في مختلف الأقطار، الذين نقلوا أساليبها وطرقها إلى بلدانهم، ونشروها في أوطانهم.

ولها أثر كبير – أيضاً – في التشجيع على البحث العلمي، وتحريك همم العلماء، وإثارتها نحو الإنتاج والتأليف في مختلف فروع المعرفة بفضل ما نشره شيوخها وطلبتها من علوم، وما ألفوه من مجلدات ضخام مازالت مراجع أساسية للباحثين في مختلف الفنون.

وبفضلها أصبح علم الرواية والدراية في متناول الراغبين، علماً بأنه كان قبل عسيراً صعب المنال، وأصبح الاتصال بالشيوخ والأخذ عنهم بالمشافهة، أمراً ميسراً بعد أن كان منذ القرن الهجري الأول يتطلب اقتحام المشاق، ومعاناة الأسفار والرحلات.

وبفضلها عبد طريق العلم، ووثقت الأواصر الثقافية وغيرها بين المسلمين، و ألغيت السدود والحدود، وربط المشرق بالمغرب حتى أصبحا بمثابة المدينة الواحدة بفضل ما قام به علماؤها من جولات واتصالات أدت إلى تناسق في الأعمال، وتشابه في المناهج والبرامج، وتماثل في النصوص والتشريعات.

وإليها يرجع الفضل في بلورة التعليم الإسلامي الجامعي وتطوره، وتخصصه ورقيه إدارياً وتربوياً، وهي المؤسسة التعليمية الأولى التي سبقت إلى تطبيق كثير من النظريات، مثل: حرية الفكر، ومجانية التعليم، والضمان الاجتماعي، ونظام المدن الجامعية، وتكافؤ الفرص، والمساواة، والمساهمة في خدمة المجتمع، وغير ذلك من الأغراض"(١).

---

(١) دور الحديث للأستاذ الحسين وكاك ص١١٧ باختصار وتصرف.

المبحث الثاني
أهدافها

وكان لقيام هذه الدُّوْر أهداف متعددة، كلها تصب في خدمة السنة النبوية وعلومها، ومن هذه الأهداف:

١ - المحافظة على السنة النبوية، المصدر الثاني للتشريع: وذلك عن طريق القيام بدراستها، وتدريسها ونشرها بين طبقات الأمة، وخدمتها بالشرح والتحليل، والتأليف وخدمة علومها ورواتها، وضبط كتبها.

٢ - لا شك أن هذه النهضة الحديثية كانت رداً على التيارات البدعية التي هي أثر من آثار قيام الدولة الفاطمية في مصر المعروفة باتجاهاتها الغالية، وتبني الفكر الباطني الغالي، فكانت حركة يقصد منها مقاومة البدعة بنشر السنة وعلومها، وجهود المحدثين في هذا المجال أكبر برهان على ذلك.

٣ - تثبيت هوية الأمة ممثلة بتاريخها وحاضرها: وقد قام شيوخ هذه الدُّوْر بهذه المهمة، ومن الأمثلة على ذلك :

ما قام به الحافظ الذهبي شيخ دار الحديث الظاهرية وغيرها من دُوْر الحديث بكتابة:"تاريخ الإسلام"، وهو كتاب ضخم أرخ فيه من بعثة النبي ﷺ إلى منتصف القرن الثامن الهجري.

وما قام به الحافظ ابن كثير أحد شيوخ دار الحديث الأشرفية وغيرها بكتابة تاريخ الإسلام أيضاً، وسمى كتابه "البداية والنهاية"، وغير ذلك كثير.

٤ - المحافظة على هوية المدن الإسلامية؛ لاسيما تلك التي تواجه مخاطر الاستعمار الصليبي:

ومن الأمثلة على ذلك: ما قام به الحافظ أبو القاسم بن عساكر[١]- شيخ

---

(١) ستأتي ترجمته في الفصل الثالث، النموذج الأول، دار الحديث النورية.

دار الحديث النورية- بتأليف كتابه الكبير "تاريخ دمشق"، وكذلك ما كتبه عن المدن الأخرى، كما سيأتي بيانه.

وما قام به ابنه الحافظ القاسم بن علي بن عساكر من تأليف كتابه "المستقصى في أخبار الأقصى"، وقد كان الأقصى يئن تحت وطأة الاستعمار الصليبي آنذاك قبل تحريره بسنوات على يد صلاح الدين الأيوبي، مما يدل على دور هذه المؤسسة في المعركة، وفهم أصحاب الإدارة فيها لطبيعة الصراع.

٥ - تخريج علماء ربانيين بلغوا رتبة الاجتهاد، ومتضلعين بعلوم السنة النبوية:

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، وقد تقدم ذكر بعضها، وما لم يذكر أكثر، وسيأتي بيانه في الفصل الثالث.

الفصل الثالث

نماذج تطبيقية لدور الحديث في بلاد الشام ومصر والعراق

أهم هذه الدور، ونماذج منها

تمهيد:

نشأت دار الحديث في إطار العمل المؤسسي الخيري المنظم في خدمة السنة النبوية في حدود النصف الثاني من القرن السادس الهجري،

ثم تتابع إنشاء دُوْر الحديث في مصر وبلاد الشام والعراق في القرنيين السابع والثامن الهجريين، وقام بذلك الملوك، والأمراء، وكبار موظفي الدولة، والعلماء، والتجار، والنساء في ذلك العصر، وقد تم رصد أكثر من (٢٠) داراً.

ونظراً لكثرتها - إذ لا يتسع البحث لدراسة هذا العدد من الدُّوْر - فقد قمت بتعريف موجز لأهمها، ثم اخترت ستة ممن كان لها أثر واضح في خدمة السنة النبوية، ودرستها بصورة أوسع لتكون الصورة عن دُوْر الحديث واضحة[١]، وفيما يأتي قائمة بذكر أهم الدُّوْر مع تعريف موجز لها:

---

(١) وإلا فهناك دور للحديث أخرى، ومراكز علمية اهتمت بالحديث النبوي في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وبلاد الشام، ومصر، والعراق، وتركيا، والهند، وغيرها من مدن العالم الإسلامي، ومنها على سبيل المثال: دار الحديث في إربل، وحران، ودار الحديث المعبدية في بعلبك، ودار الحديث السليمانية في مكة المكرمة، واسطنبول، وكلاهما من إنشاء السلطان سليمان القانوني العثماني (ت٩٧٤هـ)، ولم يقتصر نشاط الملوك من آل عثمان على هاتين الدارين، فقد ذكر بعض المؤرخين أن في مدينة بلغراد من البلقان، يوجد من دور الحديث تسع.
وفي الهند يوجد عشرات الجامعات والمدارس الإسلامية، ولكن التي لها اهتمام بارز في الحديث النبوي وعلومه أربعة وهي: الجامعة الإسلامية في ديوبند، ودار العلوم ندوة العلماء في لكنو، ومظاهر العلوم في سهارنبور، وجامعة أهل الحديث المركزية =

أولا – أهم دُوْر الحديث النبوي في بلاد الشام:

١ – دار الحديث الفاضلية: وقد أنشأها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني (تـ٥٩٦هـ)، كاتب الديوان عند السلطان صلاح الدين الأيوبي[(١)].

٢ – دار الحديث العروية: أنشأها ابن عروة شرف الدين محمد بن عروة الموصلي (تـ٦٢٠هـ)، ووقف فيها خزائن كتب، وكان من خواص الملك المعظم عيسى بن الملك العادل الأيوبي[(٢)].

= في بنارس، وتسمى الآن: الجامعة السلفية.
وفي باكستان: دار العلوم في مدينة كراتشي، التي أسسها العالم الكبير المفتي محمد شفيع العثماني(ت١٣٩٦هـ).
ولهذه المراكز العلمية أثر واضح في النهضة الحديثية التي شهدتها القارة الهندية في العصور المتأخرة.
وفي الجزائر: دار الحديث في مدينة تلمسان، أنشئت بواسطة القائمين على جمعية العلماء المسلمين، سنة (١٩٣٥م)، وفي مقدمتهم الشيخ عبدالحميد باديس.
وفي المغرب هناك عشرات المدارس والزوايا التي اهتمت بالحديث النبوي، من أهمها: الزاوية الكتانية في فاس، والزاوية الناصرية، ودار الحديث الحسنية في الرباط.
ودار الحديث في مكة المكرمة والمدينة المنورة، اللتان أنشئتا في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله.
والحقيقة أن عددا من هذه المراكز العلمية لها اهتمام بالعلوم الشرعية كلها إلى جانب اهتمامها بالحديث النبوي الشريف وعلومه، وقد يقوى هذا الاهتمام تارة، ويضعف تارة أخرى، وللاطلاع عليها ينظر كتاب دور الحديث للأستاذ الحسين وكاك، فقد أحصى جزاه الله خيرا (٨٩) دارا للحديث، ومركزاً علمياً له اهتمام بالحديث في العالم الإسلامي منذ القرن السادس الهجري إلى العصر الحاضر.

(١) هو الإمام العلامة البليغ، إليه انتهت براءة التوسل، وبلاغة الإنشاء، ولد سنة (٥٢٩هـ) في عسقلان، ونشأ في مصر، ووزر للسلطان صلاح الدين، أخباره في التواريخ التي تناولت الفترة الصلاحية المباركة منتشرة. انظر سير أعلام النبلاء ٢١/٣٣٨ ووفيات الأعيان لابن خلكان ٧/٢١٩.

(٢) أصله من الموصل، وأقام في القدس ثم انتقل إلى دمشق. انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/٧٨، والوافي بالوفيات ٤/٩٤.

٣ – دار الحديث الأشرفية البرانية، أنشأها الملك الأشرف موسى بن الملك العادل الأيوبي[(١)].

٤ – وكذلك أنشأ داراً أخرى سميت بدار الحديث الأشرفية، وقد أفردتها بالدراسة لأهميتها.

٥ – دار الحديث العالمية: أنشأتها الشيخة الصالحة العالمة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي سنة(٦٣٠هـ)[(٢)].

٦ – دار الحديث الكروسية: وقد أنشأها محتسب دمشق محمد بن عقيل ابن كروس (تـ٦٤١هـ)[(٣)].

٧ – دار الحديث القوصية : وقف وكيل بيت المال في الشام الإمام الفقيه شهاب الدين إسماعيل ابن حامد الأنصاري القوصي نزيل دمشق، واقف داره على أهل الحديث (ت٦٥٣هـ)[(٤)].

٨ – دار الحديث الشقيشقية : وهي دار المحدث نجيب الدين أبو الفتح نصر الله الشيباني الدمشقي الشاهد المعروف بابن الشقيشقة (٥٨٠–٦٥٦هـ) فوقفها دار حديث[(٥)]

٩ – دار الحديث الناصرية : أنشأها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (٦٥٤هـ)[(٦)].

---

(١) ستأتي ترجمته عند الكلام عن النموذج الثالث، دار الحديث الأشرفية.)

(٢) انظر خطط الشام لمحمد كرد علي ٦/١٠٠.

(٣) كان كيساً متواضعاً، توفي بدمشق ودفن بها. انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ٤/ ٩٨، والبداية والنهاية ١٣/١٣٨.

(٤) هو الإمام الفقيه المحدث الأديب، ولد سنة (٤٧٥هـ)، وقدم دمشق سنة (٥٩١هـ) فاستوطنها، وأخذ عن القاسم بن عساكر، والقاضي بهاء الدين ابن شداد، وغيرهما، وحدث عنه الدمياطي وغيره. انظر سير أعلام النبلاء ٣٢/٢٨٨، والبداية والنهاية ١٣/١٨٦.

(٥) انظر ترجمته في الدارس ١/٨.

(٦) كان جواداً ممدحاً، حسن الأخلاق، كثير الحلم، محباً للأدب وأهله، ملك حلب ودمشق، قتله ملك التتار هولاكو. انظر سير اعلام النبلاء ٢٣/٢٠٤، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ١/١١٥.

١٠- دار الحديث الظاهرية: نسبة للملك الظاهر بيبرس سنة (٦٧٦هـ)[١].

١١- دار الحديث السامرية: وقفها الصدر الكبير أحمد بن محمد البغدادي السامري (تـ٦٩٦هـ) وكانت داره التي يسكن بها[٢].

١٢- دار الحديث النفيسية: وقفها ناظر الأيتام إسماعيل ين محمد الحراني (ت٦٩٦هـ) وهي داره التي كان يسكنها[٣].

---

(١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ١٣/٢٢٩: أن الذي شرع في بنائها الملك السعيد أبو المعالي، ناصر الدين محمد بركة خان، ابن الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٧٦هـ لتجعل مدرسة وتربة للملك الظاهر، وفي سنة (٦٧٧هـ) ذكر الدرس فيها، ولم يكن بناء المدرسة كمل.بينما نقل النعيمي في الدارس ١/٣٤٩ عن الإمام ابن قاضي شهبة: أن الملك الظاهر بيبرس اشترى من العقيقي داره، وبناها مدرسة ودار حديث، وتربة في حدود سنة (٦٧٠هـ).

ويبدو لي: أن الملك الظاهر ربما اشترى الدار، لكنه لم يشرع في بنائها، وأن الذي أمر بإنشائها ابنه الملك السعيد، ولم يكمل البناء، وأن الذي أمر بإكمالها كما ذكر النعيمي في الدارس ١/٣٥١: هو السلطان المنصور سيف الدين قلاوون (ت٦٨٨هـ). وللاطلاع على تاريخ هذه الدار: ينظر كتاب "المدرسة الظاهرية" (دار الكتب الوطنية) لأسماء الحمصي.

والملك الظاهر بيبرس أحد ملوك دولة المماليك، صاحب الفتوحات والأخبار والآثار، قاتل التتار مع الملك قطز، وانتصر عليهم في معركة عين جالوت الشهيرة، وتولى السلطنة في مصر والشام سنة (٦٥٨هـ)، وكان شجاعاً جباراً، وله الوقائع الهائلة مع التتار والصليبيين، وله الفتوحات العظيمة، وآثاره وعمائره وأخباره كثيرة جداً. توفي في دمشق، ودفن فيها. انظر ترجمته في فوات الوفيات للكتبي ١/٢٣٥، والأعلام للزركلي ٢/ ٧٩.

(٢) كان كثير الأموال، حسن الأخلاق، معظماً عند الدولة، جميل المعاشرة، له أشعار رائقة، وكان من سروات الناس ببغداد، وكان له حظوة عند الوزير ابن العلقمي، وقدم دمشق في أيام الناصر بأمواله، وحظي عنده. انظر الوافي بالوفيات ٨/٦٦، والبداية والنهاية ١٣/٢٦٧.

(٣) كان ذا ثروة من المال، ولد سنة (٦٢٨هـ) وسمع الحديث. انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ٩/٢١٢، والبداية والنهاية١٣/٢٦٧.

١٣- دار الحديث الدوادارية: وقفها الأمير علم الدين سنجر الدوادار سنة (٦٩٨هـ)[١].

١٤- دار الحديث البهائية: وقفها الحافظ الفقيه الطبيب بهاء الدين القاسم بن بدر الدين أبي غالب المظفر، وهو من بني عساكر، تلك الأسرة المعروفة في دمشق (تـ٧٢٣هـ)[٢].

١٥- دار الحديث التنكزية: أنشأها نائب السلطنة تنكز الملكي الناصري سنة (٧٢٨هـ) تقريباً.

١٦- وأخرى في القدس سميت بالسيفية، والتنكزية، وقد أفردتها بالبحث لأهميتها.

١٧- دار الحديث القلانسية : أنشأها الصاحب عز الدين حمزة بن مؤيد الدين القلانسي (ت٧٢٩هـ) أحد رؤساء دمشق الكبار[٣].

١٨- دار الحديث الصبابية: أنشأها التاجر شمس الدين ابن تقي الدين ابن

---

(١) هو الأمير الكبير سنجر التركي الصالحي(٦٢٠-٦٩٩هـ)، أحد الأمراء في دولة المماليك، له مشاركة جيدة في الفقه والحديث، وفيه ديانة وكرم، سمع الكثير من زكي المنذري والرشيد العطار. وله معجم كبير، وله أوقاف بدمشق والقدس. وكان إذا خرج إلى غزوة يخرج معه شخصاً يقرأ عليه جزءاً فيه أحاديث الجهاد. انظر الدارس ٢/ ٦٧.

والدوادارية: موضوعها: تبليغ الرسائل عن السلطان، وإبلاغ عامة الأمور، وتقديم القصص إليه. انظر صبح الأعشى ٤/ ١٩.

(٢) هو الإمام المسند المعمر الرحلة، ولد سنة (٦٢٩هـ) وسمع حضوراً وسماعاً على الكثير من المشايخ، بلغ عددهم (٥٧٠) شيخاً، وأخذ عنه الحفاظ البرزالي والمزي وغيرهما. قال البرزالي: قرأت عليه ثلاثة وعشرين مجلداً، ومن الأجزاء خمسمائة وخمسين جزءاً، وكان قد اشتغل بالطب، ويعالج الناس بغير أجرة، ووقف داره في آخر عمره دار حديث. انظر البداية والنهاية ١٤/ ٨.

(٣) قال ابن كثير: "سمع الحديث من جماعة، ورواه، وسمعنا عليه، وله رئاسة باذخة، وأصالة كثيرة، وأملاك هائلة، وله في الصالحية رباط حسن، وفيه دار حديث" البداية والنهاية ١٤/ ١٠٨.

الصباب[١] سنة (٧٣٨هـ)[٢]. وكل هذه الدور أنشئت في دمشق ما عدا دار الحديث السيفية ففي القدس.

١٩- دار الحديث البهائية: بناها الإمام المحدث القاضي بهاء الين المعروف بابن شداد (ت٦٣٢هـ) في حلب، وقد أفردتها بالدراسة.

ثانيا - أهم دُور الحديث النبوي في مصر :

هناك عدد من دُوْر الحديث في مصر منها :

١ - دار الحديث الكاملية : وقد أفردتها بالبحث كونها أول دار حديث أنشأت في مصر.

٢ - دار الحديث الظاهرية : أنشأها الملك الظاهر بيبرس[٣] في سنة (٦٦٠هـ) ومن شيوخها: الإمام الدمياطي (٧٠٥هـ)، والإمام تقي الدين السبكي (٧٥٦هـ)، والحافظ فتح الدين ابن سيد الناس (ت٧٣٤هـ)، والحافظ مغلطاي (ت٧٥٤هـ)، والإمام الحافظ عمر بن رسلان البلقيني (ت٨٠٥هـ). والحافظ زين الدين العراقي (ت٨٠٦)، والحافظ ابن حجر (ت٨٥٢) وغيرهم[٤].

---

(١) قال عنه ابن كثير: "الصدر شمس الدين ابن الصباب، التاجر السفار، باني المدرسة الصبابية، بقرب من المدرسة الظاهرية، وكانت هذه البقعة برهة من الزمن خربة شنيعة، فعمرها وجعلها دار قرآن ودار حديث للحنابلة، ووقف هو وغيره عليها أوقافاً جيدة". البداية والنهاية ١٤/ ١٦٥.

(٢) للاطلاع على تاريخ هذه الدور وتراجم شيوخها، ينظر كتاب "الدارس في تاريخ المدارس" للنعيمي، فصل دور الحديث الشريف ١/ ١٥-٩٥.

(٣) فرغ منها سنة (٦٦٢هـ)، ولم يقع الشروع في بنائها حتى رتب السلطان وقفها، وكان بالشام، وهي مدرسة لفقهاء الشافعية، والحنفية، وأهل الحديث، وكان محلهم بالإيوان الشرقي، ومدرسهم الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي، وجعل بها خزانة كتب، تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم، وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة، وهذه المدرسة من أجل مدارس القاهرة. انظر المواعظ والاعتبار للمقريزي ٢/ ٣٧٨.

(٤) انظر دور الحديث في العالم الإسلامي ص٢٠٧.

ثالثا - أهم دُور الحديث النبوي في العراق :

هناك عدد من دُوْر الحديث في العراق، منها:

١ - دار الحديث في المستنصرية: مؤسسها الخليفة المستنصر بالله العباسي (٦٤٠هـ)، بدأ بتشييدها سنة (٦٢٥هـ)، وانتهى من بنائها سنة (٦٣١هـ)، ووقفها على المذاهب الأربعة، وجعل فيها دار حديث، وحماماً، ودار طب، وجعل لمستحقيها من الجوامك -أي: الرواتب- والأطعمة، والحلاوات، والفاكهة، ما يحتاجون إليه في أوقاته، ووقف عليها أوقافاً عظيمة، ووقف فيها كتباً نفيساً، ليس لها في الدنيا نظير[(١)].

واهتماماً منه بالحديث وعلومه، اشترط شروطاً، منها: أن يكون في دار الحديث النبوي الشريف شيخ عالي الإسناد، وأن يكون فيها قارئان من الشيوخ المعروفين بعلو السند، وأن يكون فيها عشرة طلاب، وخصص لها خزانة الكتب، وأمَّن لهم الأعطيات الكافية، والرواتب المجزية[(٢)].

ومن شيوخها: الإمام المحدث محمد بن أحمد بن عمر البغدادي القطيعي الأزجي (ت٦٣٤هـ) وهو أول شيخ ولي مشيخة الحديث بها[(٣)].

وعين بجانبه قارئان يشتغلان بعلم الحديث، وهما: الحافظ المحدث أبو منصور بن الوليد الحنبلي (ت٦٤٣هـ)[(٤)]، والحافظ المتقن أبو عبدالله بن النجار (ت ٦٤٣هـ)[(٥)].

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/١٢١، وإنما لم أفردها بالبحث كونها لم تكن دار حديث مستقلة، وإنما تابعة للمدرسة المستنصرية، وللاطلاع على تاريخها، ونظامها الإداري، والمالي، وتراجم أهم شيوخها، فلينظر الكتاب النافع الماتع: "تاريخ علماء المستنصرية" للعلامة الدكتور ناجي معروف ١/٢٢٩-٢٦٦.

(٢) انظر تاريخ علماء المستنصرية ٢/٢٢٩.

(٣) انظر ترجمته في العبر في خبر من غبر للذهبي ٣/٢٢٠.

(٤) انظر الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/٢٣٣.

(٥) انظر الحوادث الجامعة لابن الفوطي ص٢٠٥.

ومن شيوخها: الإمام العالم الواعظ المعمر مسند الوقت محمد بن عبد المحسن المعروف بابن الدواليبي الأزجي البغدادي الحنبلي، كان حسن المحاضرة، طيب الأخلاق، أخذ عنه الفرضي، وابن الفوطي، والبرزالي، وسراج الدين القزويني، والحافظ الذهبي، وغيرهم، توفي سنة (٧٢٨هـ)[١].

٢ – دار الحديث المظفرية في الموصل:

مؤسسها الملك المعظم مظفر الدين أبو سعيد كوكبوري (٥٤٩–٦٣٠هـ)، كان شجاعاً مقداماً في الحروب، شارك في جل المعارك التي خاضها صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين، وكان كثير الميل للمحدثين، وسمع بنفسه مسند الإمام أحمد ابن حنبل من المحدث حنبل بن عبدالله (ت٦٠٤هـ)[٢].

وممن تولى مشيختها: الإمام الحافظ المحدث المخرج المفيد المحرر المتقن البارع المصنف عبد القادر الرهاوي، اشتغل بدار الحديث بالموصل، ثم انتقل إلى حران، وقد رحل إلى بلدان شتى، وسمع الكثير من المشايخ، وأقام بحران إلى أن توفي بها في سنة (٦١٢هـ)[٣].

النموذج الأول
دار الحديث النُّورية : رائدة دُوْر الحديث[٤]

أولا – نشأتها:

نشأت دار الحديث في إطار العمل المؤسسي الخيري المنظم لخدمة السنة النبوية في حدود النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وأول دار أسست لهذا الغرض فيما علمنا هي: دار الحديث النورية، وقد قام بإنشائها الملك العادل نور الدين محمود زنكي (ت٥٦٩هـ) وكان مقرها دمشق.

---

(١) انظر الوافي بالوفيات ٤/٢٨، والبداية والنهاية ١٤/١٠٤.
(٢) انظر مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ٨/٥٣٧.
(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/٥٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٧١.
(٤) وموقعها في سوق العصرونية في دمشق بين الجامع الأموي والقلعة، وما زالت معروفة إلى يومنا هذا.

قال ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) : "وبنى نور الدين محمود دار الحديث بدمشق، ووقف عليها وعلى من بها من المشتغلين بعلم الحديث وقوفاً كثيرة، وهو أول من بنى داراً للحديث فيما علمناه"[(١)].

وقال الحافظ المؤرخ أبو شامة (ت٦٦٥هـ) : "وهو - أي نور الدين - أول من بنى دار الحديث فيما علمنا"[(٢)].

ولكن ما ذا تعني هذه الأولية ؟ فمن المعلوم أن الحديث النبوي الشريف كان يدرس في المدارس والمساجد والبيوت في مختلف الأقطار من العالم الإسلامي، وقام بذلك أئمة كبار بذلوا الغالي والنفيس في خدمة الحديث النبوي الشريف ؟

والجواب على هذا : أن الباحث في نظام هذه الدُّوْر يجد أنها تحمل فكرة العمل المؤسسي الخيري المنظم في خدمة السنة النبوية وعلومها، ولها أساليبها وأهدافها، ومن هنا يجب التمييز بين هذه الدُّوْر وبين المؤسسات التعليمية التي قامت بها المدارس الشهيرة في تاريخنا العلمي الإسلامي من حيث التخصص وبعض الأهداف، وإن كانت كلتاهما تكمل الأخرى.

أما متى تم إنشاؤها: فلم يذكر المؤرخون ذلك على وجه التحديد، ولكن

---

(١) "التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل" ص ١٧٢، وقد استشكل تلك الأولية الشيخ محمد بن جابر الوادي آشي(ت ٧٤٩هـ) في برنامجه ص٨٦ بقوله: "ويقال: إنها أول مدرسة بنيت له، وإلا قد بني قبلها مدارس كثيرة للعلم".
ومن المعاصرين الشيخ شعيب الأرنؤوط في مقدمة تحقيقه لكتاب الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، إذ قال ص٢٧: "ويكون ابن حبان بإنشائه هذه المدرسة قد سبق الملك العادل نورالدين زنكي بأكثر من قرنين وثلث القرن، ويمكن أن نصحح - هنا - ما أورده ابن الأثير وتابعه عليه المقريزي من أن نور الدين أول من بنى دار الحديث". وللتوسع في هذه القضية وما يتعلق بدار الحديث النورية ينظر كتاب "دار السنة، دار الحديث النورية بدمشق تاريخها وتراجم شيوخها" لمحمد أبي الفرج الخطيب الحسني.

(٢) "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، ١/١٠.

يمكن تحديده بصورة عامة إذا ما علمنا بأن الملك نور الدين محمود حكم دمشق عشرين عاماً (٥٤٩-٥٦٩هـ)، فيكون إنشاؤها قد تم بعد سنة (٥٥٠هـ)[١].

وإذا كان الملك العادل نور الدين محمود زنكي رائد هذا المشروع العظيم فلا بد لنا من إلقاء الضوء على حياته وعصره ليكون مدخلا للتعرف على أهمية هذا المشروع، وظروف نشأته، وأثره في خدمة السنة النبوية وعلومها.

وكذلك التعرف على أهم شيوخ هذه الدار ممن تسلم إدارتها علما بأن كثيراً منهم كان قد دَرَسَ فيها أو في غيرها من دُوْر الحديث...

ثانيا - مؤسس دار الحديث النورية:

هو الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، ملك الشام، وديار الجزيرة، ومصر، وهو أعدل ملوك زمانه، وأجلهم، وأفضلهم.

كان معتنيا بمصالح رعيته، مداوما للجهاد، وهو الذي حصن بلاد الشام، وبنى الأسوار على مدنها.

وكان متواضعاً، مهيباً، وقوراً، مكرماً للعلماء، وكان عابداً، زاهداً، ورعاً، عارفاً بالفقه، وسمع الحيث بحلب ودمشق من جماعة، وسمع منه جماعة، وكان داعياً إلى السنة، محافظاً عليها، مهتماً بحفظ أصول الديانة، وكان يقول: نحن نحفظ الطرق من لص، وقاطع طريق، والأذى الحاصل منها قريب، أفلا نحفظ الدين، ونمنع عنه ما يناقضه، وهو الأصل.

ولد سنة (٥١١هـ)، وتوفي في قلعة دمشق سنة (٥٦٩هـ).

---

(١) انظر دار السنة ص٥٢، وقد ناقش مؤلفه الأستاذ محمد أبي الفرج الخطيب ما قيل عن تحديد نشأتها، وخلص إلى أنها بنيت بعد سنة(٥٥٩هـ)، وقبل سنة (٥٦٦هـ)، مستنتجاً ذلك من تاريخ بعض السماعات على الحافظ ابن عساكر، وهي قرائن لا يمكن أن تصل إلى حد القطع لاستنادها إلى استقراء غير كامل.

وأسرة آل زنكي: أسرة عريقة، جمعت بين الملك والجهاد في القرن السادس الهجري

فوالده: عماد الدين زنكي (ت٥٤١هـ) كان حاكماً للموصل والجزيرة وحران وحلب، وكانت الحروب الصليبية على أشدها، وكانت كفة الصليبيين راجحة، ولكن عماد الدين زنكي قاد حركة الجهاد بكل شجاعة، وحقق نصراً عظيماً ضد الفرنجة[١].

وبعد عماد الدين انقسمت مملكته بين ولديه نور الدين محمود الذي آل إليه شمال سوريا، وقد حل محل أبيه في زعامة الجبهة الإسلامية ضد الصليبيين، وسيف الدين غازي الذي حكم الموصل ومناطق أخرى من العراق.

تسلم نور الدين محمود ملك البلاد بعد مقتل أبيه عماد الدين سنة (٥٤١هـ) وله من العمر ثلاثون عاماً.

وكان يتهدد العالم الإسلامي في تلك المرحلة خطران: خارجي: ويتمثل بالصليبيين، وداخلي: ويتمثل بـ (العبيديين) في مصر، الذين كانوا يعتنقون المذهب الإسماعيلي، ويعملون على نشره، وقد صور المؤرخ ابن كثير وضع العالم الإسلامي في تلك المرحلة أدق تصوير عندما قال:

"... وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكماله، حتى أخذوا القدس، ونابلس، وعجلون، والغور، وبلاد غزة، وعسقلان، وكرك الشوبك، وطبرية، وبانياس، وصور، وعكا، وصيدا، وبيروت، وصفد، وأنطاكية، وجميع ما والى ذلك ... واستحوذوا على بلاد آمد، والرها، ورأس العين، وبلاد شتى غير ذلك...

وقتلوا من المسلمين خلقاً وأمماً لا يحصيهم إلا الله، وسبوا من النساء والولدان مما لا يحد ولا يوصف، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها

---

(١) "البداية والنهاية" ١٢/٢٢١. وانظر عن جهاده في الحروب الصليبية "موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية" ٥/٧٤١.

وصارت دار إسلام، وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يحد ولا يوصف، وكادوا أن يتغلبوا على دمشق، ولكن الله سلم".

وعن الخطر الثاني قال :

"... وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء، وأكثرهم مالا، وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم... ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات، وكثر الفساد، وقلَّ عندهم الصالحون من العلماء والعباد، ..."[(١)].

أمام هذا الوضع كان على الملك المجاهد نور الدين محمود أن يجاهد في اتجاهين : عسكري وثقافي، وهكذا فعل، فقد قاد حركة الجهاد أمام الزحف الصليبي على العالم الإسلامي، وله في ذلك جهود عظيمة[(٢)]، وكان في الوقت نفسه يعمل على توسيع مملكته، وقد تم له ذلك، فقد اتسعت مملكته حتى شملت دمشق، وقد دخلها سنة (٥٤٩هـ)، ثم امتدت إلى مصر سنة (٥٦٤هـ)، وقد استقر الأمر له فيها سنة (٥٦٧هـ) وذلك بعد وفاة الخليفة العاضد، وهو آخر الخلفاء الفاطميين في مصر، وكان نائبه فيها القائد صلاح الدين الأيوبي.

وهكذا أحاط نور الدين بالصليبيين من الشمال والشرق والجنوب من مملكتهم التي أسسوها في عدد من مدن بلاد الشام ومصر، ومركزها بيت المقدس، وكان قد سقط في أيديهم سنة (٤٩٢هـ).

وأما عن أثره الثقافي[(٣)] فإنه لا يقل عن أثره العسكري، فقد قام بإنشاء

---

(١) انظر "البداية والنهاية" ١٢/ ٢٦٧.

(٢) ينظر عن جهاده وجهوده: "موسوعة التاريخ الإسلامي" للدكتور أحمد شلبي ٥/ ٧٤٦.

(٣) انظر عن دوره الثقافي ما كتبه د.أحمد شلبي في كتابه "موسوعة التاريخ الإسلامي" ٥/ ١٧٠.

وللتوسع في الاطلاع على حياته: ينظر كتاب "الروضتين" لأبي شامة ١/ ١٠ فما بعدها، و"وفيات الأعيان" لابن خلكان ٥/ ١٨٤، و"البداية والنهاية" ١٢/ ٢٧٧، والأعلام للزركلي٧/ ١٧٠.

وينظر كتاب الملك "نور الدين زنكي" للأستاذ عماد الدين خليل، فقد أجاد وأفاد في الكتابة عن حياة هذا القائد العظيم وإنجازاته.

كثير من المدارس، والمساجد، والمكاتب، والمارستانات وغيرها في ربوع مملكته لاسيما في حلب، وأوقف عليها الوقوف الكثيرة، واستقدم لها كبار العلماء من العالم الإسلامي، وأجزل لهم العطاء.

وضمن هذا الإطار قام بإنشاء "دار الحديث" التي تعد نموذجاً للعمل المؤسسي الخيري المنظم في خدمة السنة النبوية، وكان له فضل الريادة فيها.

وقد جاء في موجز دائرة المعارف الإسلامية، وهو يتحدث عن دمشق في عصر نورالدين زنكي:

"ولكن أشهر هذه الأبنية، هي التي أقامها للبر والتقوى، ولا نستطيع أن نذكر إلا أهمها، أي المدرسة الخاصة بالحديث، وهي أقدم مدرسة من نوعها، وقد درس فيها ابن عساكر.."[(١)]

ثالثا – أهم شيوخها:

وسأذكر هنا أهم شيوخ المدرسة النورية مع الإشارة إلى أهم تلامذتهم ومؤلفاتهم لنتعرف من خلال ذلك على أثر الدار في خدمة السنة النبوية وعلومها بصورة عامة[(٢)]، فممن تولى مشيختها:

١ – الحافظ الكبير أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ) إمام أهل الحديث في زمانه.

حدث عنه ولده القاسم – وهو من شيوخ دار الحديث النورية –، وأبو جعفر القرطبي، وزين الأمناء أبو البركات ابن عساكر– وهو من شيوخ

---

(١) ١٦/٤٩٣٣.

(٢) ذكر الأستاذ محمد أبو الفرج الخطيب في كتابه دار السنة (٢٣) شيخاً من شيوخها من حين بنائها إلى سنة (٨٠٣هـ)، و(٤) شيوخ من آل الخطيب في الفترة الثانية التي جددت فيها الدار،ابتداء من سنة(١٢٧٠_١٢٧٥) إلى عصرنا الحاضر، فارجع إليه إن شئت.

دار الحديث النورية -، والشيخ فخر الدين ابن عساكر - وهو من شيوخ دار الحديث العروية -، والحافظ عبد القادر الرهاوي، وغيرهم.

ومن مؤلفاته: "تاريخ دمشق" في ثمانين مجلداً، و"أربعون حديثاً في الحث على الجهاد"، كتبه تلبية للسلطان نور الدين رحمه الله حضاً على الجهاد، و"فضل القدس"، و"فضل عسقلان"، و"فضل الربوة"، و"تاريخ المزة"[١]. و"تقوية المنة على إنشاء دار السنة"، وقد بلغت مؤلفاته أكثر من مئة مؤلف.

ونظرة فاحصة يلقيها الدارس على أهم تلاميذه ومؤلفاته مع ربط ذلك بظروف العصر الذي كان يعيش فيه يدرك الأهداف التي كان الحافظ ابن عساكر يرمي إليها من وراء هذه المؤلفات؛ فمؤلفاته عن المدن الإسلامية التي كانت تحت الاحتلال أو معرضة للغزو الصليبي محاولة منه لتثبيت هويتها العربية والإسلامية.

٢ - ومنهم: الحافظ بهاء الدين القاسم بن الحافظ أبي القاسم علي ابن عساكر (تـ٦٠٠هـ)[٢].

أسمعه أبوه الكثير، وشارك أباه في أكثر مشايخه، وقد نشأ في بيت والده التابع لدار الحديث النورية، وبعد وفاة أبيه تولى مشيخة دار الحديث، وخلف أباه في إسماع الحديث، وصنف كتباً عدة منها: "المستقصى في فضائل المسجد الأقصى"، وكتاب "الجهاد"، قال الذهبي: "وسمعه منه كله السلطان صلاح الدين في سنة ٥٧٦، قال: فدعوت في أوله وآخره بفتح بيت القدس، فاستجاب الله ذلك، وله الحمد، وفتح بيت المقدس في السادس والعشرين من رجب سنة ٥٨٣، وأنا حاضر فتحه"[٣]، وممن حدث عنه: القاضي عماد الدين ابن الحرستاني

---

(١) انظر "تذكرة الحفاظ" للذهبي ص ١٣٢٨، و"البداية والنهاية" ١٢/ ٢٩٤.
(٢) "تذكرة الحفاظ" ص ١٣٦٨، و"البداية والنهاية" ١٣/ ٣٨.
(٣) "سير أعلام النبلاء" للذهبي ١/ ٤١١.

(ت٦٦٢هـ) وهو من شيوخ دار الحديث الأشرفية، والعلامة المجتهد عز الدين ابن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) وغيرهم.

٣ - ومنهم: الحافظ زين الأمناء أبو البركات الحسن بن محمد ابن عساكر (ت٦٢٧هـ)[١] ولي دار الحديث النورية لإسماع الحديث، وانتفع الناس به مدة طويلة.

وممن حدث عنه : الحافظ المنذري (ت٦٥٦هـ)، أحد شيوخ دار الحديث الكاملية في القاهرة.

٤ - ومنهم: الحافظ زين الدين خالد بن يوسف النابلسي (ت٦٦٣هـ)[٢].

وممن حدث عنه : تاج الدين الفزاري (ت٦٩٠هـ)، وهو أحد شيوخ دار الحديث النورية، والإمام النووي (ت٦٧٧هـ)، وهو أحد شيوخ دار الحديث الأشرفية، والإمام الحافظ تقي الدين ابن دقيق العيد (ت٧٠٢هـ)، وهو أحد شيوخ دار الحديث الكاملية في القاهرة، وغيرهم.

٥ - ومنهم: الإمام الحافظ مفتي الإسلام تاج الدين عبد الرحمن الفزاري (ت٦٩٠هـ)[٣].

قال عنه الذهبي : "وكان من أذكياء العالم، وممن بلغ رتبة الاجتهاد، وخرج من تحت يده جماعة من القضاة والمدرسين والمفتين..."[٤]

٦ - ومنهم: الشيخ عبد الرحمن بن يوسف البعلبكي الحنبلي (ت٦٨٨هـ)، وهو الذي أَذِن للشيخ ابن تيمية بالإفتاء[٥].

٧ - ومنهم: الإمام الحافظ المؤرخ علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد البرزالي (تـ٧٣٩هـ)، مؤرخ الشام، وقد أكمل تاريخ أبي شامة.

---

(١) "البداية والنهاية" ١٣/١٢٦، و"الدارس في تاريخ المدارس" ١/٧٧.
(٢) انظر ترجمته في "تذكرة الحفاظ" ص ١٤٤٧، و"البداية والنهاية" ١٣/٢٤٦.
(٣) انظر "البداية والنهاية" ١٣/٣٢٥، و"الدارس في تاريخ المدارس" ١/١٠.
(٤) "تاريخ الإسلام" ١٥/ ٧٧٠
(٥) "البداية والنهاية" ١٣/٣١٦.

=

قال عنه ابن كثير[1]: "قرأ شيئاً كثيراً، وسمع كثيراً ... سمعت العلامة ابن تيمية يقول: نَقلُ البرزالي نقرٌ في حجر، وقد وقف كتبه بدار الحديث النورية، وبدار الحديث القوصية".

قال الذهبي: "وهو الذي حبب إلي طلب الحديث. قال لي: خطك يشبه خط المحدثين، فأثر قوله فيّ، وسعيت وتخرجت به في أشياء".[2]

٨ - ومنهم: الحافظ الكبير شيخ المحدثين، عمدة الحفاظ جمال الدين يوسف بن الزكي المزي (ت٧٤٢هـ)[3].

أما تلاميذه: فهم الحفاظ والأئمة، وقد أخذ عنه أقرانه ورفاقه: كابن تيمية، وابن سيد الناس، والذهبي، والبرزالي، وتقي الدين السبكي.

وتخرج به الأعلام: ابن عبد الهادي، والعلائي، ومغلطاي، وابن رافع السلامي، وزوج ابنته الحافظ ابن كثير.

وله مؤلفات عظيمة من أهمها : "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" ضمنه تراجم جميع رجال الكتب الستة، وكل من جاء بعده اعتمد عليه، وكتاب "تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف"، أي أطراف الكتب الستة مرتبة على المسانيد، ويعد هذا الكتاب من كتب الفهارس، مما يدل على تقدم علم الفهرسة عند المسلمين قبل أن يعرف ذلك الغربيون بقرون.

٩ - ومنهم: الإمام الحافظ المتقن محمد بن رافع السلامي المصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)[4]، وكان الشيخ تقي الدين السبكي يرجحه على العماد ابن كثير، له مؤلفات كثيرة من أهمها: كتاب الوفيات، ذيل بها على البرزالي، وصنف ذيلا على تاريخ بغداد لابن النجار.

١٠- ومنهم: الحافظ الفقيه المحدث أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير

---

(١) المصدر السابق ١٤/ ١٨٥.

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي ٤/ ١٦٢.

(٣) انظر ترجمته في "تذكرة الحفاظ" ص ١٤٩٨، و"البداية والنهاية" ١٤/ ١٩١.

(٤) انظر ترجمته في" البداية والنهاية" ١٤/ ٢٣٠.

(ت٧٧٤هـ)[١]، وله مؤلفات عظيمة منها: "التفسير"، وهو من أشهر كتب التفسير، وكتاب "البداية والنهاية" في التاريخ، وكتاب "اختصار علوم الحديث"، و"جامع المسانيد والسنن الهادي إلى أقوم سنن"، وغيرها.

النموذج الثاني
دار الحديث الكاملية في القاهرة

أولا – مؤسسها:

أنشأها الملك الكامل محمد ابن الملك العادل ابن أيوب الأيوبي (ت٦٣٥هـ)، أحد ملوك الدولة الأيوبية، كان ذكياً مهيباً، ذا بأس شديد، عادل منصف، وكان جيد الفهم يحب العلماء، وله كلام جيد على صحيح مسلم[٢].

وقال عنه ابن مسدي: "كان محباً في الحديث وأهله، حريصاً على حفظه ونقله، وللعلم عنده سوق قائمة على سوق، خرج له الشيخ أبو القاسم ابن الصفراوي أربعين حديثا سمعها منه جماعة[٣].

وقال المنذري: " أنشأ الكامل دار الحديث بالقاهرة، ووقف الوقوف على أنواع البر، وله المواقف المشهورة في الجهاد بدمياط المدة الطويلة، وأنفق الأموال، وكافح الفرنج براً وبحراً.

يعرف ذلك من شاهده، ولم يزل على ذلك حتى أعز الله الإسلام و خذل الكفر.

---

(١) انظر ترجمته في "ذيل تذكرة الحفاظ " للحسيني ص ٥٧.

(٢) انظر البداية والنهاية ١٣/١٢٦ وقال المقريزي في المواعظ والاعتبار٢/٣٧٥:" أنشأها السلطان الملك الكامل سنة (٦٢٢هـ)، وهي ثاني دار عملت للحديث، فإن أول من بنى داراً على وجه الأرض الملك العادل نور الدين محمود بدمشق، ووقف عليها الوقوف الكثيرة.." .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٢/١٢٨.

وكان معظماً للسنة وأهلها، راغباً في نشرها والتمسك بها، مؤثراً للاجتماع بالعلماء والكلام معهم حضراً وسفراً"[١].

ثانيا – أهم شيوخها:

١ – الإمام العلامة الحافظ الكبير أبو الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية (ت٦٣٣هـ).

قال عنه الحافظ ابن كثير: شيخ الديار المصرية في الحديث، وهو أول من باشر مشيخة دار الحديث الكاملية بها...[٢].

وقال الذهبي: "وكان بصيراً بالحديث، معنياً بتقييده، مقبلاً على سماعه، حسن الخط، معروفاً بالضبط،، له حظ وافر من اللغة، ومشاركة في العربية وغيرها، وحدث بتونس في سنة خمس وتسعين، وحج وكتب بالمشرق، وبأصبهان والعراق، ونيسابور، وحدث في سنة ست مئة بالموطأ، وسمعه منه أبو عمرو بن الصلاح،... وصنف ودرس، وله كتاب "النص المبين في المفاضلة بين أهل صفين"، وكان معروفاً – على كثرة علمه وفضائله – بالمجازفة.."[٣].

وكان قد عزل عن دار الحديث، وولي مكانه أخوه الشيخ الحافظ أبو عمرو عثمان بن دحية وكان ندر – أي تقدم وقل وجود نظيره – في صناعة الحديث أيضاً[٤].

٢ – والحافظ الكبير الإمام الثبت شيخ الإسلام زكي الدين عبد العظيم المنذري (ت٦٥٦هـ).

قال عنه الذهبي: ولي مشيخة دار الحديث الكاملية، وانقطع بها ينشر العلم عشرين سنة، وحدث عنه شيوخنا: الدمياطي، وابن الظاهري، وأبو

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٣/٢٨٢٢.
(٢) انظر "البداية والنهاية" ١٣/١٤٤.
(٣) انظر تذكرة الحفاظ ٤/١٤٢١.
(٤) البداية والنهاية ١٣/١١١. وكلمة (ندر) زيادة مني للتوضيح.

الحسين اليونيني، وقاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد، وخلق سواهم.

وقال الشريف عز الدين الحافظ: كان شيخنا زكي الدين عديم النظير في علم الحديث على اختلاف فنونه، عالماً بصحيحه وسقيمه، ومعلوله، وطرقه، متبحراً في معرفة أحكامه ومعانيه ومشكله، قيماً بمعرفة غريبه وإعرابه، واختلاف ألفاظه. إماماً حجة ثبتاً ورعاً متحرياً فيما يقوله، متثبتاً فيما يرويه..."[(١)].

وله مؤلفات عظيمة منها: "مختصر صحيح مسلم"، و"مختصر سنن أبي داود"، و"الترغيب والترهيب"، وما زال ينتفع بها إلى يومنا هذا.

٣ - والإمام العلامة الحافظ محمد بن أحمد المعروف بـ قطب الدين القسطلاني (ت٦٨٦هـ)، طُلِبَ من مكة إلى القاهرة، وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية[(٢)].

وقال الصفدي: "وكان شيخاً عالماً زاهداً عابداً جامعاً للفضائل، كريم النفس، كثير الايثار، حسن الأخلاق، قليل المثل، طلب من مكة إلى قاهرة، وولي مشيخة الكاملية إلى أن مات.

وقرأ العلم ودرس وأفتى، ورحل في طلب الحديث، وسمع من طائفة كثيرة ببغداد، والشام ومصر والموصل.

وممن أخذ عنه: الدمياطي، والمزي، والبرزالي، وخلق. وله تآليف لطيفة"[(٣)].

٤ - وأعلم من وليها: الإمام الفقيه المجتهد المحدث الحافظ العلامة شيخ الإسلام تقي الدين محمد بن علي المعروف بابن دقيق العيد (ت٧٠٤هـ).

قال ابن كثير: "سمع الحديث الكثير، ورحل، وخرج، وصنف فيه - إسناداً

---

(١) "تذكرة الحفاظ" ٤/ ١٤٣٧، وانظر "البداية والنهاية" ١٣/ ٢١٢.

(٢) "ذيل تذكرة الحفاظ" للحسيني ص٧٦.

(٣) الوافي بالوفيات ٢/ ١٣٣.

ومتناً – مصنفات عديدة فريدة مفيدة، وانتهت إليه رئاسة العلم في زمانه، وفاق أقرانه، ورحل إليه الطلبة، ودرس في أماكن كثيرة، ثم ولي قضاء الديار المصرية في سنة (٦٩٥هـ)، ومشيخة دار الحديث الكاملية، وكان وقوراً قليل الكلام، غزير الفوائد، كثير العلوم، في ديانة ونزاهة "[١].

له مؤلفات كثيرة، منها: "شرح عمدة الأحكام"، وهو من المؤلفات النافعة في شرح حديث الأحكام، وله كتاب "الاقتراح" في مصطلح الحديث، وله غير ذلك.

النموذج الثالث
دار الحديث الأشرفية في دمشق[٢]

أولا – مؤسسها:

أنشأ هذه الدار الملك الأشرف موسى بن الملك العادل بن أيوب الأيوبي (تـ٦٣٥هـ) من ملوك الدولة الأيوبية بمصر والشام.

قال الحافظ ابن كثير: وقد كان رحمه الله شهماً شجاعاً كريماً جواداً لأهل العلم؛ لا سيما أهل الحديث، وقد بنى لهم دار حديث...

ونقل إليها كتباً سنية نفيسة، وكان أصلها داراً لأحد الأمراء فأمر الملك الأشرف سنة (٦٢٨هـ) بتحويلها إلى دار حديث، فتمت في سنتين، وكان فيها حمام، فأمر بإخرابه، وبناه سكناً للشيخ المدرس فيها.

---

(١) "البداية والنهاية" ١٤/٢٧، وانظر "تذكرة الحفاظ" ٤/١٤٨٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٥٧.

(٢) وموقعها في سوق العصرونية جوار باب القلعة الشرقي، وهي قريبة من جامع الأموي الكبير، وتسمى اليوم: إعدادية دار الحديث النبوي الشريف الشرعية الخاصة للبنين، وللتوسع في الاطلاع على هذه الدار، ومعرفة شيوخها ينظركتاب "الدارس في تاريخ المدارس" للنعيمي ١/١٨ فما بعدها، و تقديم الأستاذ الشيخ محمد عوامة لكتاب "مجالس في تفسير قوله تعالى ﴿لقد من الله على المؤمنين...﴾" لابن ناصر الدين الدمشقي ص ٤٤-٥٢، وكتاب"دار الحديث الأشرفية" للدكتور محمد مطيع الحافظ.

وكان الإمام المحدث الحسين بن المبارك الربعي الزبيدي (ت٦٣١هـ) ممن تفرد برواية صحيح البخاري في بغداد، فأرسل إليه، فنزل في دمشق وأقرأ صحيح البخاري، وكان الملك الأشرف قد حضر هذه المجالس في دار الحديث، وفي الصالحية(١).

ثانياً – أهميتها:

تُعَدُّ دار الحديث الأشرفية من أهم دور الحديث في العالم الإسلامي، وقد نالت شهرة واسعة، وأصبحت موئلاً للعلماء الكبار فما من عالم كبير يدخل دمشق إلا ويزورها، وربما ألقى درساً فيها، وقد تردد ذكرها في كتب التاريخ، وملأت تراجم شيوخها صفحاته، ومنها تخرج مئات المحدثين على مدى العصور.

"وفي الأشرفية صنفت أمهات الكتب في الحديث النبوي وعلومه، فكانت مراجع أساسية، اشتهرت شهرة فائقة، مثل علوم الحديث لابن الصلاح، وتهذيب الكمال للمزي، وتلخيص المتشابه لابن ناصر الدين.. وسواها من الكتب العديدة التي يتداولها العلماء وطلبة الحديث.

كما قرئ فيها جلُّ كتب الحديث النبوي الشريف وعلومه، قراءة تحقيق وضبط،، ومن يتتبع المخطوطات يجد عليها سماعات وإجازات لما قرئ في هذه الدار"(٢).

من هذه الكتب التي قرئت في هذه الدار: كتاب السنن الكبرى للبيهقي، فقد قرئ على الحافظ ابن الصلاح بعد أن ولي مشيختها، وكان أول من درس الحديث فيها، وقد تقدم بيان ذلك في الفصل الأول.

ثالثاً – أهم شيوخها:

١ – الإمام الحافظ مفتي الإسلام أو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح (تـ٦٤٣هـ)، صاحب كتاب "علوم الحديث" وغيره من

---

(١) ينظر "البداية والنهاية" ١٣/ ١٣٤ بتصرف.
(٢) دار الحديث الأشرفية ص١٥. بتصرف.

المؤلفات النافعة، قال الحافظ ابن حجر- وهو يتكلم عن تاريخ التأليف في علوم الحديث - :"..إلى أن جاء الحافظ الفقيه تقي الدين أبو عمرو عثمان ابن الصلاح...، فجمع لما ولى تدريس الحديث بالمدرسة الأشرفية كتابه المشهور، فهذب فنونه، وأملاه شيئاً بعد شيء...، فلهذا عكف الناس عليه، وساروا بسيره، فلا يحصى كم ناظم له ومختصر، ومستدرك عليه ومقتصر، ومعارض له ومنتصر".[1] ويعد كتابه من أهم الكتب المنهجية في تدريس هذه المادة.

ومن الذين أخذوا عنه:

الإمام الحافظ المؤرخ ابن خلكان (تـ٦٨١هـ) صاحب كتب "وفيات الأعيان".

والشيخ الحافظ زين الدين الفارقي (تـ٧٠٣هـ)، أحد شيوخ دار الحديث الأشرفية، وقد بقي فيها سبعاً وعشرين سنة، وهو الذي عمَّر دار الحديث هذه بعد خرابها في فتنة "قازان"[2]،

٢ - ومنهم: الإمام الحافظ العلامة المجتهد شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة (تـ٦٦٥هـ)[3].

ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية، وله كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين" النورية والصلاحية، وله الذيل عليه.

وكان الإمام تاج الدين الفزاري يقول عنه: بلغ الشيخ أبو شامة رتبة الاجتهاد.

---

(١) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ص١٢.

(٢) البداية والنهاية ١٤/٣٠.سميت هذه الفتنة بـ اسم ملك التتار قازان من ذرية جنكيز خان، لكنه أسلم سنة (٦٩٤هـ)، وتسمى بمحمود، وشهد الجمعة، ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد، كما في البداية والنهاية١٣/٢٨٣، ولكن من الغريب أنه في سنة(٦٩٩هـ) هجم بجيش ضخم على بلاد الشام، وجرى لمدينة دمشق أهوال عظيمة، ومن آثارها: نهب دار الحديث الأشرفية، وتعرضها للاحتراق؟؟وللتعرف على هذه الفتنة، وآثارها ينظر البداية والنهاية ١٤/٨.

(٣) "تذكرة الحفاظ" ص١٤٦، و"البداية والنهاية" ١٣/٢٥٠، و"الدارس" ١/١٨.

٣ - ومنهم: الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (تـ٦٧٦هـ) صاحب التصانيف النافعة[١]، ومنها :

"شرح صحيح مسلم"، و"رياض الصالحين"، و"الأذكار"، و"الأربعين" وعرفت بـ"الأربعين النووية"، و"الإرشاد في علوم الحديث"، ومختصره "التقريب"، وكتاب "المبهمات"، و"الإيضاح في المناسك"، و"التبيان في آداب حملة القرآن"، وجمعت فتاواه في مجلد، و"شرح المهذب" ويسمى "المجموع"، و"الروضة"، وشرح قطعة من البخاري، وغير ذلك..وكلها نافعة، وما زال ينتفع بها إلى يومنا هذا.

وكان يواجه الملوك والأمراء بالإنكار، وله غير رسالة إلى الملك الظاهر بيبرس.

ومن تلاميذه: الحافظ علاء الدين بن العطار (تـ٧٢٤هـ) شيخ دار الحديث القوصية والنورية وغيرهما.

٤ - ومنهم: الشيخ الإمام العلامة عمر بن مكي المعروف بابن الوكيل (تـ٧١٦هـ)، وكان يتكلم على الحديث بكلام مجموع من علوم شتى من الطب والفلسفة وعلم الكلام، وعلم الأوائل.

وله: شرح الأحكام لعبد الحق، كتب منه ثلاث مجلدات دالات على تبحره في الحديث والفقه والأصول[٢].

٥ - ومنهم: شيخ الحفاظ وأعلامهم الإمام الحجة القدوة شيخ المحدثين أبو الحجاج يوسف بن الزكي المزي، وقد تقدمت ترجمته عند الكلام على دار الحديث النورية.

واستمرت بيده نحواً من خمس وعشرين سنة.

٦ - ومنهم: الإمام الحافظ شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين علي السبكي (تـ٧٥٦هـ)، صنف أكثر من مائة وخمسين مصنفاً، وتصانيفه

---

(١) "تذكرة الحفاظ" ص١٤٧٠، و"الدارس" ١/١٩.

(٢) الدارس ١/٢٧.

تدل على تبحره في الحديث وغيره، وتخرج به فضلاء العصر.

قال السيوطي رحمه الله: ونقل لنا أنه نظم في دار الحديث المذكورة قوله:

وفي دار الحديث لطيفُ معنى   أحن إلى جوانبها وآوي
لعلي أن أمس بحر وجهي   محلا مسه قدم النواوي

وكان درسه في حديث أبي ذر من صحيح مسلم خمس عشرة سنة(١).

وممن أخذ عنه ولده الحافظ الإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي (تـ٧٧١هـ) أحد شيوخ الحديث الأشرفية.

٧ - ومنهم شيخ الإسلام خاتمة المجتهدين سراج الدين البلقيني، لما قدم من الديار المصرية قاضياً بدمشق.

ويحدثنا التاريخ عن الإمام الحافظ عمر بن رسلان البلقيني أنه لما دخل دمشق قاضياً ذهب إلى دار الحديث الأشرفية، وكان ذلك في شهر شعبان من سنة (٧٦٩هـ)، فتكلم في عدة فنون بعبارة فصيحة بليغة كلاماً مفيداً محرراً كثيراً بصوت عال عجيب، وأسلوب غريب، بحيث أبهر من معه من فضلاء المصريين والشاميين مما سمعوا منه، ومن جودة إيراده وإصداره مع تودد وتأدب حسن، فلم ينازعه واحد منهم في منطوق ولا مفهوم، وأقروا له بالتقدم في العلوم، ودمشق إذ ذاك غاصة بالأئمة الفضلاء...(٢)

---

(١) انظر مجالس في تفسير قوله تعالى "لقد من الله على المؤمنين..." لابن ناصر الدين الدمشقي ص ٤٩.
وقال الأستاذ الشيخ محمد عوامة في مقدمة تحقيقه لهذا الكتاب ص٧: "كأنه يريد حديث أبي ذر:" يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي.." ومعلوم أن من سَنَن العلماء السابقين إذا ابتدؤوا التدريس في مدرسة ما: افتتحوا تدريسهم بآية كريمة جامعة، أو حديث شريف جامع، فيكون محور دروسهم، ولو طال ذلك سنوات!".
وحديث أبي ذر: رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧).

(٢) "لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ" لابن فهد الهاشمي ص ٢١٠.

٨ – ومنهم: الحافظ العلامة عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير (تـ٧٧٤هـ)، وله مصنفات عظيمة، منها: كتابه تفسير القرآن العظيم، ومنها : البداية والنهاية في التاريخ، وغير ذلك من الكتب النافعة المحررة، وقد تقدمت ترجمته عند الحديث عن دار الحديث النورية.

٩ – ومنهم: الإمام الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي (ت٨٤٢هـ)، وله مؤلفات عظيمة منها: "توضيح المشتبه"[(١)].

وقد ألقى فيها دروسا في مجالس عامرة حول قوله تعالى﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[(٢)].

وقد ذكر في المجلس الأول من هذه المجالس حضور الحافظ ابن حجر رحمه الله[(٣)].

١٠– ومنهم: الإمام الحافظ قاضي القضاة قطب الدين محمد بن محمد الخيضري (ت٨٩٤هـ)[(٤)].

أكتفي بهذا القدر من ذكر شيوخ دار الحديث الأشرفية، فإنها تكفي للاستدلال على ما كانت تقوم به هذه الدار من جهود عظيمة في خدمة الحديث النبوي وعلومه؛ مما له أثر في حماية المجتمعات الإسلامية من أي انحراف يمكن أن يعترض مسيرتها.

"وبقيت الدار كذلك حتى القرن الحادي عشر الهجري، فبدأ الضعف يدب إليها، ولكنها مع هذا تابعت سيرها وئيدة الخطى رغم تدني مستواها عن المنزلة التي أرادها لها الواقف والأوائل من الشيوخ، وفي سنة (١٢٧٢هـ) هيأ

---

(١) وقام بتحقيقه الأستاذ محمد نعيم العرقسوسي، وترجم للمؤلف ترجمة جيدة فلتنظر.
(٢) آل عمران: ١٦٤.
(٣) ص٣٢.
(٤) انظر ترجمته في "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" للسخاوي ١١٧/٩-١٢٤.

الله لهذه الدار عالمين جليلين استطاعا أن يعودا بالدار إلى سابق عهدها وهما: الشيخ يوسف المغربي (ت١٢٧٩هـ)، ودعم الأمير عبد القادر الجزائري (ت ١٣٠٠هـ)، الذي افتتح الدار بقراءة صحيح البخاري، وكأن عملهما ذاك كان تمهيداً لبروز المحدث الشيخ محمد بدر الدين الحسني (ت ١٣٥٤هـ)، الذي تسلم مشيختها، وأعاد لها عزها ومجدها"(١).

النموذج الرابع
دار الحديث البهائية في حلب الشهباء(٢)

مؤسسها:

العلامة المحدث المؤرخ القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع الأسدي المعروف بـ ابن شداد، وتولى مشيختها(٣).

ولد في الموصل سنة (٥٣٩هـ) وفيها تلقى علومه في القراءات والتفسير والحديث والفقه والأدب على كبار علمائها ومحدثيها.

قال الذهبي: "وتفقه، وبرع، وتفنن، وصنف، ورأس، وساد. حدث بمصر، ودمشق، وحلب.."(٤).

وأخذ عن شيوخ، منهم:

---

(١) دار الحديث الأشرفية، ص١٧-١٨، باختصار، ولا بد من الإشارة إلى أن دار الحديث الأشرفية ما زالت قائمة إلى يومنا هذا، ولكن بعد وفاة الشيخ بدر الدين الحسني قام بعض علماء دمشق ومنهم: الشيخ محمود الرنكوسي(ت ١٤٠٥هـ)، وبتوجيه من رئيس رابطة العلماء الشيخ محمد أبو الخير الميداني(ت ١٣٨٠هـ) بتأسيس مدرسة فيها أطلق عليها: إعدادية دار الحديث النبوي الشريف الشرعية الخاصة للبنين.

(٢) انظر عن تاريخ هذه الدار، وموقعها، كتاب إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للشيخ راغب الطباخ ٤/٣٦٦.

(٣) وممن تولى مشيختها: الفقيه المحدث الحافظ إبراهيم بن محمد المعروف بالصريفيني (ت٦٤١هـ). انظر ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/٢٢٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٨٤.

الإمام أبو بكر محمد بن علي الأنصاري الجياني (ت٥٦٣هـ) في الموصل. قرأ عليه صحيح مسلم كله، والوسيط للواحدي، وكان صدوقاً، متيناً، حافظاً، عالماً بالحديث[(١)].

والإمام المحدث سعيد بن عبدالله الشهرزوري (ت٥٧٦هـ)، سمع منه مسند أبي عوانة، ومسند أبي داود، ومسند الشافعي، وجامع الترمذي[(٢)].

والفقيه العلامة الإمام محمد بن أسعد حَفَدة العطاري صاحب البغوي (ت٥٧١هـ)، سمع منه معالم التنزيل، وشرح السنة للبغوي[(٣)].

ومسندة العراق فخر النساء المحدثة شُهدة الكاتبة (ت٥٧٤هـ)، وقد سمع منها ببغداد[(٤)].

وفي سنة (٥٦٩هـ) عاد إلى الموصل - بعد سفره إلى بغداد، ونزوله بالمدرسة النظامية، وأخذه عن علمائها - ليدّرس في المدرسة التي أنشأها القاضي كمال الدين محمد بن الشهرزوري، فاشتهر، وذاع ذكره، وارتفعت مكانته لكثرة علمه، وسعة حكمته، ورجاحة عقله، فعهد إليه أتابكها بالسفارة إلى الخليفة العباسي، وصلاح الدين الأيوبي في كثير من الأمور المهمة، وهذه السفارات هي التي عرّفت صلاح الدين به، وجعلته يعجب به، ويحبه، ويطلب منه أن يلتحق بخدمته.

وفي سنة (٥٨٣هـ) زار دمشق بعد عودته من الحج، فاستدعاه صلاح الدين وكان آنذاك يحاصر قلعة كوكب، فقابله بالإكرام، وسأله عن جزء من الحديث ليسمعه عليه، فأخرج له جزءاً جمع فيه أذكار البخاري، فقرأه عليه بنفسه، وأمر العماد الكاتب أن يطلب منه العود إليه (أي إلى السلطان) بعد انتهائه من زيارة بيت المقدس.

---

(١) انظر ترجمته في المصدر السابق ٢/٥٠٩.
(٢) انظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ٧/٩٢.
(٣) انظر ترجمته في المصدر السابق ٨/٣٦٠.
(٤) انظر ترجمتها في سير أعلام النبلاء ٢٠/٥٤٢.

فلما عاد، وكان قد جمع له في تلك المدة كتاباً يشتمل على فضل الجهاد، وما أعد الله للمجاهدين، فقدمه له.

وفي سنة (٥٨٤هـ) ولاه السلطان صلاح الدين قضاء عسكره، وقضاء القدس، وناظراً لأوقافها، فهو أول قاض لها بعد تحريرها، وصار أيضاً واحداً من أقرب أصفيائه وموضع سره، لا يفارقه ليل نهار، ويرافقه في أكثر معاركه.

بعد وفاته انتقل ابن شداد إلى حلب سنة (٥٩١هـ)، فأعظمه الملك الظاهر ابن صلاح الدين، وفوّض إليه قضاءها، والإشراف على أوقافها، وجعله في رتبة الوزارة والمشاورة، فعني بترتيب أمرها، وجمع الفقهاء بها، وعمّرت في أيامه المدارس الكثيرة، كما أنشأ هو نفسه مدرسة للشافعية، **وداراً للحديث النبوي**، وجعل تربته بينهما؛ ليدفن بها عند وفاته، وكان ذا ثروة كبيرة أنفقها كلها على المدارس والعلم، وبفضله علت منزلة حلب العلمية، وقصدها الفقهاء من البلاد، وحصل بها الاشتغال والاستفادة، وكثر الجمع بها.

توفي في حلب عام (٦٣٢هـ) ودفن في تربته التي أنشأها.

وممن أخذ عنه:

أبو عبد الله الفاسي المقرئ (ت٦٥٦هـ) مصنف شرح الشاطبية، وكان رأسا في القراءات والنحو: ديناً، صيناً، وقوراً متثبتاً[١].

والحافظ المنذري، وقد تقدمت ترجمته، والإمام كمال الدين بن العديم (ت ٦٦٠هـ) وكان محدثاً، مؤرخاً، فقيهاً، وله كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب، وغيرها[٢]،

وجمال الدين الصابوني (ت٦٨٠هـ) وكان حافظاً محدثاً، وهو أحد شيوخ دار الحديث النورية، له كتاب تكملة إكمال الإكمال في الأنساب، ذيل به على إكمال ابن نقطة[٣].

---

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٦١.
(٢) انظر ترجمته في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢/١٠١.
(٣) انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ٤/١٨٨.

وأحمد بن محمد ابن إبراهيم المعروف بـ ابن خلكان(٦٨١هـ)، وقد نزل في مدرسته، وأخذ عنه الحديث والفقه، وقال في كتابه وفيات الأعيان:

"أخذت عنه كثيراً، وكتب إليه صاحب إربل في حقي وحق أخي، فتفضل وتلقانا بالقبول والإكرام".

والإمام المؤرخ محمد بن سالم بن نصر التميمي الحموي المعروف بـ ابن واصل (ت ٦٩٧هـ) مؤرخ الأيوبيين[(١)].

والإمام المؤرخ أبو شامة صاحب "كتاب الروضتين في أخبار الدولتين"، وقد تقدمت ترجمته.

وأهم كتبه التي وصلت إلينا هي:

كتاب دلائل الأحكام (في حديث الأحكام). وملجأ الحكام عند التباس الأحكام (في القضاء)، والموجز الباهر (في الفقه)، وفضل الجهاد، والنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (أو سيرة صلاح الدين)[(٢)].

النموذج الخامس
دار الحديث السكرية في دمشق[(٣)]

وأما دار الحديث السكرية فهي من الدُّوْر المهمة في تاريخ الإسلام، فقد تولى مشيختها عدد من أشهر علماء الحديث في القرنين الثامن والتاسع الهجري، وكان لهم أثر واضح في الحديث النبوي الشريف وعلومه.

فمن هؤلاء: الإمام الحافظ شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (تـ٧٢٧هـ)، فهو قد نشأ فيها، وتلقى علومه فيها، وكان

---

(١) انظر ترجمته في المصدر السابق ٣/٨٥.

(٢) وللتوسع في ترجمته انظر وفيات الأعيان ٧/٨٤-١٠٠، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٦١، والبداية والنهاية ١٣/١٥٤، وإعلام النبلاء ٤/٣٥٨-٣٦٩.

(٣) وللتوسع في الاطلاع على هذه الدار، وتراجم شيوخها ينظر كتاب "دار الحديث السكرية سكنى شيخ الإسلام ابن تيمية" للدكتور محمد مطيع الحافظ.

يسكن في البيت التابع لها يوم أن كان والده الشيخ عبد الحليم شيخاً لها، وتلقى علومه من شيوخها وغيرهم، ثم تولى مشيختها بعد وفاة والده، وله من العمر (٢٢) سنة. ومعرفة هذه الأمور تكشف عن جانب من جوانب تكوينه العلمي، وأثر ذلك في نبوغه، وهو جانب مهم من حياة هذا العالم كان غائباً.

وكان من الأعراف السائدة في هذه الدُّوْر أن من يتولى مشيخة الدار عليه أن يلقي درساً بحضور القضاة والأعيان، وقد ألقى الشيخ بداية توليه مشيخة الدار سنة (٦٨٣هـ) درساً هائلاً، في البسملة، وذلك بحضور القضاة، والأعيان، وكبار موظفي الدولة.

قال الحافظ ابن كثير: "وقد كتبه الشيخ تاج الدين الفزاري بخطه لكثرة فوائده، وكثرة ما استحسنه الحاضرون، وقد أطنب الحاضرون في شكره على حداثة سنه وصغره..."(١).

وقال الحافظ الذهبي عندما ترجمه: "ابن تيمية الإمام العلامة، الحافظ الناقد، الفقيه المجتهد، المفسر البارع، شيخ الإسلام، علم الزهاد، نادرة العصر، كان من بحور العلم الكبار، ومن الأذكياء المعدودين، والزهاد الأفراد، والشجعان الكبار، الكرماء الأجواد، أثنى عليه الموافق والمخالف، وسارت بتصانيفه الركبان لعلها ثلاث مائة مجلد.."(٢).

ومن أشهر تلاميذه والمختصين به: العلامة الحافظ ابن قيم الجوزية (تـ٧٥١هـ)، وله مؤلفات نافعة، وهي كثيرة جداً، ومنها: "زاد المعاد في هدي خير العباد".

ومنهم: الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الإسلام وشيخ المحدثين شمس الدين

---

(١) البداية والنهاية ١٣/٣٠٣.

(٢) تذكرة الحفاظ ص١٤٩٦، وللتوسع في ترجمته ينظر ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/٣٨٧، والدرر الكامنة لابن حجر ١/١٤٤، والدارس ١/٧٥، وكتاب "ابن تيمية" لمحمد يوسف موسى، وكتاب "الشيخ ابن تيمية" للشيخ محمد أبي زهرة، وغير ذلك من الدراسات.

أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي (تـ٧٤٨هـ)، وقد تولى الحافظ الذهبي رحمه الله مشيخة عدة دُوْر، وهي: دار الحديث النفيسية، ودار الحديث الفاضلية، وشيخ الحديث في تربة أم الصالح، إضافة إلى توليه مشيخة دار الحديث السكرية بعد وفاة شيخه ابن تيمية.

وقد ترك مؤلفات عظيمة مازالت موضع عناية الباحثين والدارسين إلى يومنا هذا، ومنها:

"تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، و"سير أعلام النبلاء"، وهو في (٢٣) مجلداً، و"طبقات الحفاظ"، و"طبقات القراء"، و"ميزان الاعتدال في نقد الرجال"، و"تذهيب التهذيب"، "والكاشف"، و"مختصر المستدرك للحاكم" وغيرها.

وقال عنه الحافظ ابن كثير: "وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه"[(١)].

وقال عنه السيوطي: "الإمام الحافظ، محدث العصر، وخاتمة الحفاظ، ومؤرخ الإسلام، وفرد الدهر، والقائم بأعباء هذه الصناعة...".

قال: وحكي عن شيخ الإسلام أبي الفضل ابن حجر أنه قال: "شربت ماء زمزم لأصل إلى مرتبة الذهبي في الحفظ"

وقال: "والذي أقوله: إن المحدثين عيال الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة: المزي، والذهبي، والعراقي، وابن حجر"[(٢)].

ومنهم: **الإمام العلامة** الحافظ زين الدين عبد الرحمن الشهير بابن رجب الحنبلي (تـ٧٩٥)، درّس في دار الحديث السكرية، وكان يسكنها.

وله مؤلفات كثيرة في الحديث النبوي الشريف وعلومه، منها: كتاب "فتح

---

(١) انظر ترجمته في "البداية والنهاية" ١٤/٢٢٥، وللتوسع في الاطلاع على ترجمته انظر ما كتبه الدكتور بشار عواد في مقدمة تحقيقه كتاب "تاريخ الإسلام" ١/١١-٦٧. وقد طبع في خمسة عشر مجلدا)

(٢) "ذيل طبقات الحفاظ" للسيوطي ص ٣٤٨.

الباري بشرح صحيح البخاري"[١]، وكتاب: "شرح علل الترمذي" وكتاب "جامع العلوم والحكم"[٢]، وغيرها.

النموذج السادس
دار الحديث السيفية في القدس

مؤسسها:

الأمير تنكز سيف الدين أبو سعيد نائب السلطنة بالشام، (ت٧٤١هـ)، وكان قد أمر ببنائها سنة (٧٢٨) عندما زار القدس بعد رجوعه من مصر.[٣] وأول من تولى مشيختها: الإمام العلامة الحافظ العمدة الحجة الأوحد صلاح الدين خليل العلائي (تـ٧٦١هـ)[٤].

تلقى العلم والحديث في دمشق وغيرها، وبلغت شيوخه نحو سبع مائة، وولي مشيخة دار الحديث الناصرية سنة (٧١٨هـ)، وله أربع وعشرون سنة، ثم ولي مشيخة دار الحديث الحمصية سنة (٧٢٨هـ)، وله أربع وثلاثون سنة، وقد حضر عنده في أول لقاء: الفقهاء، والقضاة والأعيان، وكان درساً باهراً، وكان مقداره ست مائة سطر...

وقد نزل له عنها الحافظ المزي رحمه الله؛ مما يدل على منزلته الكبيرة آنذلك، وهو في هذه السن من العمر.

وفي سنة (٧٣١هـ) رحل إلى القدس ليتولى فيها مشيخة دار الحديث السيفية.

---

(١) وقد طبع منه عدة مجلدات.

(٢) انظر ترجمته في الدارس ٢/٧٦، ومقدمة تحقيق كتاب جامع العلوم والحكم للشيخ شعيب الأرنؤوط.

(٣) وتسمى دار الحديث السيفية والتنكزية، نسبة لمؤسسها، انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٤/١٥٢)

(٤) انظر ترجمته في "البداية والنهاية" ١٤/٢٦٧، و"ذيل تذكرة الحفاظ" للحافظ شمس الدين الحسيني ص٤٣، و"الدارس" ١/٤٥.

قال ابن كثير: "وكان مدة مقامه بالقدس مدرساً بالمدرسة الصلاحية، وشيخاً بدار الحديث التنكزية ثلاثين سنة".

ومن اطلع على كتابه "التنبيهات المجملة على المواضع المشكلة" يعني: في صحيح البخاري عرف إمامته في العلم، وفي القدس ألّف كتابه الذي سماه "النفحات القدسية" في أربعين مجلداً، وهو حصيلة الدروس التي كان يلقيها آنذاك، وله مؤلفات كثيرة في الحديث النبوي الشريف وعلومه، تدل على إمامته في هذا المجال، وممن حدث عنه:

الحافظ ابن الملقن (تـ٨٠٤هـ)، والحافظ عبد الرحيم العراقي (تـ٨٠٦)، وغيرهما.

الفصل الرابع

نحو إحياء دور الحديث لتكون أنموذجاً للعمل المؤسسي في خدمة السنة في العصر الحاضر

تمهيد

تحدثنا فيما تقدم عن دُوْر الحديث، وتبين معنا من خلال الدراسة والتحليل أن دُوْر الحديث تمثل نموذجاً للعمل المؤسسي في العصر الماضي، ورأينا كذلك مدى أهمية هذا المشروع، وكيف نجح في تحقيق أهدافه بشكل ملحوظ، ولكن لابد من الإجابة على سؤال يطرح نفسه بإلحاح ونحن نصل إلى نهاية البحث، وهو:

هل يمكن الاستفادة من هذا العمل المؤسسي في عصرنا الحاضر؟

الجواب: نعم، ولهذا يدعو الباحث إلى إحياء دور الحديث في إطار العمل المؤسسي لخدمة السنة النبوية، وذلك عن طريق إنشاء دُوْر الحديث في مختلف الأقطار الإسلامية؛ لتقوم بالوظيفة ذاتها التي كانت تقوم بها تلك الدور، ولكن مع تعديل وإضافة على الأهداف والأساليب.

المبحث الأول

الأهداف

أما الأهداف: فيضاف إلى ما تقدم من الأهداف التي حققتها دُوْر الحديث في الماضي:

١ - نشر مفاهيم السنة النبوية بلغة العصر، وأسلوب العصر؛ لتكون قريبة من أفهام الناس أمام التيارات الإلحادية والتبشيرية والبدعية، وذلك من أجل المحافظة على هوية الأمة، وثقافتها أمام الغزو الفكري المنظم من أعداء أمتنا.

٢ - حصر موضوع المرجعية في شخص النبي ﷺ، امتثالاً لأمر الله القائل ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾(١).

فهو القدوة والأسوة في كل ما يهم الإنسان في حياته وشؤونه، لذلك كان ﷺ هو النموذج الأوحد للكمال الإنساني والرقي الحضاري، وتعاليمه ﷺ هي البوصلة الهادية إلى الطريق المستقيم، وبها يتم التوازن المنشود للحياة والإحياء.

ولقد أتى على الإنسان حين من الدهر وهو في غفلة عن هذا النموذج؛ مما اضطره أن يتخذ لنفسه نماذج أخرى تاريخية حيناً، ومعاصرة حيناً آخر، وهذه النماذج مهما كانت عظيمة فإنها تبقى في إطارها النسبي، فلا ترقى أن تكون مناسبة لكل إنسان في كل زمان ومكان.

ولهذا كان من الضروري لنهضة الأمة المرتجاة أن يقدم هذا النموذج الأوحد بصورة معاصرة، وبلغة معاصرة؛ ليعيش إنسان هذا القرن الحادي والعشرين قريباً من هذا النموذج ويتم من خلاله إعادة تشكيل الشخصية المسلمة، والعقل المسلم بدلاً عن تشكيلها من خلال شخصيات أخرى قد تكون صالحة في زمان دون زمان، ومكان دون مكان.

ولا بد من الإشارة إلى أنّ دُوْر الحديث التي ندعو إلى إنشائها يجب أن تسير في هذا الاتجاه، وأن تكون مؤسسة حديثية تجمع بين الأصالة والمعاصرة، لها أهدافها، وقد تحدثنا عنها، ولها أساليبها، وهذا ما سنتحدث عنه.

---

(١) الأحزاب: ٢١.

المبحث الثاني
الأساليب

أما الأساليب التي يجب إتباعها في دُوْر الحديث، فأقترح أن تشتمل على خمسة أقسام:

القسم الأول – التخصصي:

ومهمته: تكوين علماء متبحرين في الحديث النبوي وعلومه تبحراً يؤهلهم لتنفيذ الأهداف المرجوة من دور الحديث. ولا يتم ذلك إلا بالاستفادة من البقية الباقية من المحدثين المعاصرين، وتوافر متطلبات تفرغهم كافة للقيام بهذه المهمة حسب المناهج العلمية المتبعة في دور الحديث التاريخية، ويقوم بتدريس كتب الحديث النبوي، وشروحه، وعلم المصطلح، وعلم العلل، وعلم الجرح والتعديل، وعلم رواة الحديث، والرد على شبهات المستشرقين وغيرهم من أصحاب الأهواء؛ وبذلك تمد هذه الدار العالم الإسلامي بالمختصين بالحديث النبوي وعلومه. ولا مانع في المستقبل من إضافة قسم للدراسات الأولية أو العليا أو كليهما يعنى بالدراسات الحديثية.

ومن المقترحات لسير العمل: قراءة الكتب الستة، ومسند الإمام أحمد وغيره، وعلوم الحديث، وشروح الحديث، كتاباً بعد كتاب، على شكل دورات منتظمة يعلن عنها، وتقوم هذه الدور بتنظيمها وتنفيذها.

وهذه الدور لا يقصد منها أن تكون بديلاً عن قسم أصول الدين في كليات الشريعة في الجامعات العربية والإسلامية، ولكنها دور متخصصة متفرغة لخدمة السنة وعلومها، ومؤازرتها مؤازرة قوية لأقسام أصول الدين، لكل من أراد التعمق والتوسع في السنة، إذ لاتتسع المناهج الدراسية لاستيعاب كتب السنة وعلومها.

ومن الواضح أن الطالب الجامعي يتخرج ولم يقرأ من كتب السنة رواية ودراية إلا القليل، فمن أراد أن يقرأ الكتب الستة قراءة تامة كاملة، وغيرها من الكتب الحديثية، ويطلع على التراث الحديثي إطلاعاً شاملاً، من أهله المختصين

المتفرغين، ويروي ذلك عنهم بالسند المتصل رواية جادة حقيقية، لا رواية تبرك مقصورة على قراءة الأوائل وما أشبه ذلك، التحق بها، وأخذ عن شيوخها.

ويسمى طلاب المستوى التخصصي حسب مصطلحات دور الحديث بـ المشتغلين، أي: طلاب الحديث المتفرغين.

وللإمام تاج الدين السبكي كلام نفيس عمن يطلق عليه لقب المحدث أنقله بنصه لأهميته.

قال رحمه الله: "ومنهم: فرقة ترقت عن هذه الفرقة وقالت: لابد من ضم علم الحديث إلى التفسير، فكان قصاراها النظر في "مشارق الأنوار" للصاغاني. فإن ترفعت ارتقت إلى مصابيح البغوي، وظنت أنها بهذا القدر تصل إلى درجة المحدثين.

وما ذاك إلا لجهلها بالحديث، فلو حفظ من ذكرناه هذين الكتابين عن ظهر قلب، وضم إليهما من المتون مثليهما لم يكن محدثاً، ولا يصير بذلك محدثاً حتى يلج الجمل في سم الخياط.

فإذا رامت بلوغ الغاية في الحديث – على زعمها – اشتغلت بجامع الأصول لابن الأثير، وإن ضمت إليه كتاب علوم الحديث لابن الصلاح، أو مختصره المسمى بالتقريب والتيسير للنووي، ونحو ذلك فحينئذ ينادى بمن انتهى إلى ذاك المقام بمحدث المحدثين وبخاري العصر، وما ناسب هذه الألفاظ الكاذبة. فإن من ذكرناه لا يعد محدثاً بهذا القدر.

إنما المحدث من عرف الأسانيد، والعلل، وأسماء الرجال، والعالي والنازل، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة، وسمع الكتب الستة، ومسند أحمد بن حنبل، وسنن البيهقي، ومعجم الطبراني، وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية. هذا أقل درجاته.

فإذا سمع ما ذكرناه، وكتب الطباق، ودار على الشيوخ، وتكلم في العلل والوفيات والأسانيد كان في أول درجات المحدثين، ثم يزيد الله من شاء ما شاء[1].

---

(١) معيد النعم ص٨٢.

القسم الثاني - الثقافي العام:

ومهمته: إشاعة الثقافة الحديثية في جميع طبقات الأمة: من طلبة العلم، والتجار، والرجال، والنساء، والشباب، والأطفال. على غرار مراكز تحفيظ القرآن.

فكما أن العالم الإسلامي يشهد الكثير الطيب المبارك من مراكز تحفيظ القرآن، والمؤسسات، والهيئات، والجمعيات الراعية للقرآن في مهامها، وتوجهاتها، والتي تقتدي بدور القرآن التاريخية، فمن الضروري: أن يكون لدينا دور للحديث تحيي تلك الدور القديمة(١) بشتى الأساليب.

ومن المقترحات لسير العمل: قراءة الأربعين النووية، ورياض الصالحين للنووي، وكتاب الترغيب والترهيب للمنذري، ومختصر كل من: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وغيرها، والجامع الصغير للسيوطي، مع بعض شروحه المختصرة، كالتيسير للمناوي، وبعض المختصرات في علوم الحديث، وشروح الحديث، كتاباً بعد كتاب، على شكل دورات منتظمة يعلن عنها، وتقوم هذه الدور بتنظيمها وتنفيذها.

ويسمى طلاب هذا المستوى حسب مصطلحات دور الحديث بـ السامعين، أي: طلاب الحديث غير المتفرغين.

القسم الثالث - قسم البحوث الحديثية: ومهمته:

١ - **كتابة شروح السنة بلغة العصر**: وذلك لأن الشروح التي كتبت في الماضي نافعة جداً، ولكن نحن نعيش في عصر يختلف كل الاختلاف عن العصور السابقة، ولهذا يجب أن يكون أسلوب الخطاب معاصراً، حتى يتم استيعابه من جميع طبقات الأمة بمختلف مستوياتهم الفكرية والثقافية.

٢ - **العمل على إصدار موسوعة حديث الأحكام**: تتم العناية فيها بأحاديث

---

(١) هناك عدد من دور الحديث التاريخية مازالت قائمة حبذا تجديدها وإحياؤها رعاية لحق الوقف والواقف، وخروجا من الإثم في ضياع هذه الدور.

الأحكام في العبادات والمعاملات، وكتابتها بلغة العصر، مع التأكيد في الشرح على القضايا الكلية، وتضييق الخلافات عند تعدد الآراء، والتركيز على الهدي النبوي بشكل عام.

٣ - **الاهتمام بـ الحديث الموضوعي:** وذلك عن طريق القيام بجمع كل الأحاديث - بمختلف رواياتها وألفاظها - في الموضوع الواحد، مع العناية بتحديد الأزمنة والأمكنة والأشخاص، وهو ما يعرف في علم الحديث بـ"تعيين المبهمات"، ولكن مما يؤسف له: أن هذا العلم لم يلق العناية الكافية في الماضي، وهو علم نفيس يلقي الأضواء على النص النبوي، ويقربه إلى الأذهان بتصوير الحديث بكل أبعاده الزمانية والمكانية، وجهد الأشخاص فيه، وكشف الظروف المحيطة به.

مع الاستفادة - بضوابط - من معطيات العلوم الأخرى في كل موضوع، وذلك بالرجوع إلى أصحاب الاختصاصات التي لها ارتباط بموضوع الحديث النبوي، مثال ذلك :

الدراسات العسكرية بالعسكريين، والتربوية بالتربويين، والاقتصادية بعلماء الاقتصاد، والاجتماعية بعلماء الاجتماع، والنفسية بعلماء النفس، والطبية بعلماء الطب، وهكذا بقية العلوم.

٤ - **العمل على إصدار موسوعة الجوانب المعرفية والحضارية في السنة النبوية:**

إن الكتابة عن "الجوانب المعرفية والحضارية في السنة النبوية" ضرورة في هذا العصر نتناول فيها أهم الموضوعات التي تمس حياة الإنسان المعاصر، ونطلب فيها جواباً من النموذج الهادي عليه الصلاة والسلام.

ولقد قدر لي أن أعيش عدة سنوات في ظلال النبوة من خلال تدريسي لمواد متعددة في الحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية، وكنت خلالها أعالج مع طلبتي كثيراً من هذه الموضوعات، وأحاول أن أترجمها بلغة العصر؛ لتكون قريبة من نفوسهم وقلوبهم وعصرهم، ومن ذلك الحين أدركت مدى حاجتنا أن

نكون قريبين من هذا النموذج المؤثر صلوات الله وسلامه عليه، لما لمسته من تجاوب واهتمام، بل وتعلق وشغف وانتظار للتعرف على المزيد من تعاليم وتوجيهات ومواقف النبوة الهادية الراشدة.

والموضوعات المقترحة للكتابة كثيرة، أشير إلى بعضها كنماذج، وهي:

موقف النبي ﷺ من المرأة، والشباب، والجمال، والسعادة، والغنى، والفقر، والمعصية، والطاعة، والمزاح، والاجتماع، والعمل، والأسرة، والحيوان، والمال، والاقتصاد، والسياسة، والتربية، والصناعة، والألوان، والروائح، والطعام، والفاكهة، والغناء، واللهو، واللعب، والسلم، والحرب، واليهود، والنصارى، والمجوس، والرؤيا، والشجرة، والماء، والاختلاف، والحوار، وغير ذلك من المفردات والمصطلحات والمفاهيم التي تتعلق بالجوانب العقدية، والعبادية، والأخلاقية، والتربوية، والاقتصادية، والاجتماعية، والنفسية، والسياسية، والعسكرية التي تهم كل مسلم، ليتعرف على مواقفه ﷺ منها، وتعامله معها.

مع الإشارة إلى أهمية إظهار أن السنة النبوية بكل مفرداتها إنما جاءت لتنظّم قاعدة التكريم الإلهي للإنسان، المنصوص عليه بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[١].

وهذا الذي أشرت إليه قد كتبت فيه أبحاث كثيرة في القديم والحديث، لا بد من جمعها؛ ليستفاد منها في دار الحديث التي ندعو إلى إنشائها[٢].

---

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) ومنها على سبيل المثال في الأبحاث المعاصرة:

- كتاب "السنة: مصدرا للمعرفة والحضارة" للدكتور يوسف القرضاوي، وهومن المؤلفات القيمة التي أبرزت الجوانب الحضارية في السنة النبوية، وهو خطوة على الطريق كما ذكر ذلك مؤلفه في مقدمة كتابه.
- وكتاب "الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم" للأستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله.
- و"منهج التربية النبوية للطفل" لمحمد نور بن عبد الحفيظ السويد. =

القسم الرابع – القسم الإعلامي:

ومهمته: الاستفادة من التقنيات الحديثة كالإنترنت والفضائيات، ويدعو الباحث إلى عقد دروس وندوات منتظمة: يومياً، وأسبوعياً، وشهرياً لتناول موضوعات السنة النبوية بالشرح والبيان والتوضيح، على أن يتم إعدادها جيداً في الدار مع الأخذ بعين الاعتبار الملاحظات التي ذكرناها في القسم الثالث.

والاستفادة من المناسبات الإسلامية: كيوم الجمعة، وشهر رمضان، وموسم الحج، وغيرها.

ومن الأحداث العالمية: كيوم البيئة، ويوم الطفل، ويوم حقوق الإنسان وغيرها، مع بيان سبق السنة النبوية لمعالجة الأزمات، ومنها: الأزمة الاقتصادية، وأزمة الانفجار السكاني، وأزمة الأمن الغذائي، وأزمة توسع المدن والعمران، وأزمة تغير المناخ، وغيرها.

= – و"الحديث النبوي وعلم النفس" للدكتور محمد عثمان نجاتي.
– و"الحياة الاقتصادية والاجتماعية في عصر النبوة" للدكتور أكرم ضياء العمري.
– و"الأطعمة والأشربة في عصر الرسول ﷺ " و"اللباس في عصر الرسول ﷺ " كلاهما للدكتور محمد فارس الجميل.
– و"الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ " لعبد العزيز العمري.
– و"الأربعون الرياضية" أربعون حديثا في فضل الرياضة لمحمد خير رمضان يوسف.
– و"الأحاديث والآثار الواردة في فضل اللغة العربية وذم اللحن" للدكتور أحمد بن عبد الله الباتلي.
– وبحث "التغذية والطب الوقائي دراسة في الأحاديث الشريفة" للدكتور محمد عيد الصاحب.
وفي البيئة: كتب الكثير من المؤلفات والأبحاث، منها: "حماية البيئة والموارد الطبيعية في السنة النبوية" لفهد بن عبد الرحمن الحمودي.
ومنها: بحوث الندوة العلمية الثالثة "القيم الحضارية في السنة النبوية" التي عقدت مؤخراً في كلية الدراسات الإسلامية والعربية، بدبي، سنة(١٤٢٨هـ)، وفيها بحوث قيمة.
وفي الإعجاز العلمي كتب الكثير، ومنها: كتاب الإعجاز العلمي في السنة النبوية للأستاذ الدكتور صالح رضا.
ولي عدة بحوث في هذا المجال منها: "الأساليب النبوية في معالجة المشكلات الزوجية". و"الأحاديث النبوية الواردة في البناء والعمارة": تخريج وتحليل، و"رعاية المسنين ومكافحة الشيخوخة في السنة النبوية" و"رعاية البيئة في السنة النبوية المطهرة" وغيرها.

وأن تتناول موضوعات السنة النبوية التي تخص تلك المناسبات والأحداث بالشرح والتوضيح، وأن تنقل في عدد من الفضائيات؛ ليعم خيرها، وأن تترجم إلى اللغات الإسلامية، وبعض اللغات الأجنبية.

القسم الخامس - القسم التوثيقي:

ومهمته: الإسراع في العمل على إصدار كتب السنة وعلومها إصداراً إلكترونياً، ثم يوضع على الشبكة العنكبوتية؛ ليستفيد منه الجميع. وأن يعتمد في إصدارها على أصح النسخ المطبوعة، المحققة تحقيقاً علمياً يطمئن إليه أهل الاختصاص، والقيام بتحقيق علمي لما لم يحقق منها بالاعتماد على نسخ خطية موثوق بها، واستبعاد الطبعات غير العلمية استبعاداً نهائياً، والتحذير منها، فإن كثيراً من الأقراص المدمجة المنتشرة بأيدي الناس غير موثوق بها، ونشهد في هذا المجال فوضى عارمة ينبغي القضاء عليها.

وأنا لست بصدد دراسة نقدية لما صدر، نعم يستثنى من ذلك بعض البرامج، وبعض المواقع، وهي على تفاوت في إتقانها نستطيع أن ننطلق منها بعد إتمام ما فيها من نقص، وإصلاح ما فيها من أخطاء.

وأقترح أن تكون هناك دراسات بإشراف جهات علمية تراجع ما صدر منها فالملاحظات عليها كثيرة.

كما ينبغي أن يتوافر في هذه النسخة الإلكترونية الشاملة قابلية البحث فيها، والنسخ منها، وأن يشارك في هذا المشروع العلماء والمسؤولون في العالم الإسلامي، وأن يكون موثقاً، وأن تكون له مرجعية علمية، ورسمية، وأقترح أن يكون تحت مظلة منظمة المؤتمر الإسلامي على غرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي.

وفي الختام لا بد لنا من التأكيد على أن دور الحديث لن يكتب لها النجاح، ولن يضمن لها الاستمرار إلا إذا كان لها نظام مالي مستقل يعتمد نظام الوقف أساساً في تغطية احتياجاتها المادية.

الخاتمة
في النتائج والتوصيات

أولاً - النتائج :

١ - نشأت دار الحديث في إطار العمل المؤسسي الخيري المنظم لخدمة السنة النبوية وعلومها في حدود النصف الثاني من القرن السادس الهجري. علماً بأن هذا القرن تم فيه تحرير بيت المقدس من الصليبيين على يد الملك العظيم صلاح الدين الأيوبي، بعد أن مهد لذلك الملك نور الدين محمود زنكي رحمهما الله.

٢ - وإنشاء هذه الدُّوْر في هذه الفترة لها دلالاتها في إدارة الصراع على مختلف الجبهات، ومنها: الجبهة الثقافية التي لا تقل أهمية عن الجبهة العسكرية.

٣ - أول من قام بذلك الملك نور الدين محمود زنكي (تـ٥٦٩هـ)، وسميت تلك الدار بـ(دار الحديث النورية) ومقرها دمشق. والمقصود بالأولية هنا كونها مؤسسةً خيرية منظمة في خدمة السنة النبوية وعلومها.

٤ - تتابع إنشاء مثل هذه الدُّوْر في مصر، وبلاد الشام، والعراق وغيرها على يد الملوك والأمراء، وكبار موظفي الدولة، والعلماء، والتجار، والنساء، وقد تم رصد أكثر من (٢٠) داراً أسست لهذا الغرض.

٥ - إن إنجاز هذا المشروع لم يكن ليتم لولا تعاون الحكّام والعلماء الربانيين، وقيام هذه الدُّوْر إحدى ثمرات هذا التعاون المبارك في خدمة السنة النبوية في ذلك العصر.

٦ - كان لهذه الدُّوْر نظامها الإداري، الذي يعتمد على مجموعة من الموظفين، يأتي في مقدمتهم:

شيخ الدار، وتعيينه يتم عن طريق الواقف، سواء أكان مسؤولاً أم فرداً من

الأفراد، ويجب أن تتوافر فيه شروط متعددة، من أولها وأهمها: الكفاءة. ونائبه، والنقيب، وقارئ الحديث، والمسمع، وخازن الكتب، والناسخ، والقيم، والإمام، والمقرئ، والمؤذن، والبواب، وتحديد عدد الطلاب، وتقسيمهم إلى مشتغلين (أي: متفرغين لطلب العلم) وسامعين (أي: غير متفرغين). وتحديد رواتبهم، وتأمين متطلباتهم، وتأمين سكن مريح لهم.

٧ - وكان لها نظامها المالي الذي يعتمد في الدرجة الأولى على نظام الوقف، وما حققته هذه الدُّورْ من نجاح يعزى إلى هذا النظام الذي كان يؤمّن الجانب الاقتصادي في حياة هؤلاء المحدثين، ويقوم بإدارة هذا الجانب المهم موظف يطلق عليه لقب: ناظر الوقف، وله نائب يساعده، وقيم يباشر العمل.

٨ - كشف البحث عن عدة أهداف حققتها هذه الدُّوْر، منها:

أ - المحافظة على السنة النبوية: المصدر الثاني للتشريع، وذلك عن طريق القيام بدراستها، وتدريسها، ونشرها بين طبقات الأمة، وخدمتها بالشرح والتحليل، والتأليف وخدمة علومها، ورواتها.
ويعد العصر الذي ازدهرت فيه الدُّوْر (٥٥٠-٩٠٠هـ) من العصور الذهبية في خدمة السنة النبوية المطهرة وعلومها.
وقد قام بهذه المهمة مئات المحدثين، وذكر في البحث عدد منهم.

ب - كانت رداً على التيارات البدعية التي تذهب بصفاء الإسلام ونقائه، وهي أثر من آثار قيام الدولة العبيدية في مصر المعروفة باتجاهاتها الغالية، وتبني الفكر الباطني الغالي.. فكانت حركة يقصد منها مقاومة البدعة بنشر السنة وعلومها، وجهود المحدثين في هذا المجال أكبر برهان على ذلك.

ج - تثبيت هوية الأمة ممثلة بتاريخها وحاضرها:
وقد قام شيوخ هذه الدُّوْر بهذه المهمة؛ فقد قام الحافظ الذهبي شيخ دار الحديث الظاهرية بكتابة "تاريخ الإسلام"، وهو كتاب ضخم أرخ فيه من بعثة النبي ﷺ إلى منتصف القرن الثامن

الهجري، وقام الحافظ ابن كثير أحد شيوخ دار الحديث الأشرفية بكتابة تاريخ الإسلام أيضا، وسمى كتابه "البداية والنهاية" وغير ذلك كثير.

د - المحافظة على هوية المدن الإسلامية؛ لاسيما تلك التي تواجه مخاطر الاستعمار الصليبي:

ومن الأمثلة على ذلك: ما قام به الحافظ أبو القاسم بن عساكر - شيخ دار الحديث النورية - بتأليف كتابه الكبير "تاريخ دمشق"، ومثال ذلك: ما قام به ابنه الحافظ قاسم بن عساكر من تأليف كتابه "المستقصى في أخبار الأقصى"، وقد كان الأقصى يئن تحت وطأة الاستعمار الصليبي آنذاك قبل تحريره بسنوات على يد صلاح الدين الأيوبي.

مما يدل على أثر هذه الدُّوْر في فهم طبيعة الصراع الذي كان دائراً.

هـ - تخريج علماء ربانيين بلغوا رتبة الاجتهاد، ومتضلعين بعلوم السنة النبوية، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً.

ثانياً – التوصيات :

أولاً: يوصي الباحث بالاستفادة من هذه التجربة في عصرنا الحاضر، لتقوم بواجب المحافظة على السنة النبوية وعلومها، والنهوض بها بأسلوب يتناسب مع روح العصر ومقتضياته، سواء في الأهداف أو الأساليب، والاستفادة من التقدم العلمي، سواء أكان في العلوم أم كان في وسائل الاتصال، لا سيما ونحن نعيش في عصر يشهد ثورة معلوماتية لا مثيل لها.

ويدعو إلى إحياء دُوْر الحديث في إطار العمل المؤسسي الخيري في خدمة السنة النبوية وعلومها، وذلك عن طريق إنشاء دُوْر الحديث في مختلف الأقطار الإسلامية؛ لتقوم بالواجبات والمهمات التي كانت تقوم بها تلك الدُّوْر.

إن واجب إنقاذ السنة النبوية من الفوضى التي تعم وسائل حفظها فرض على الأمة القيام به، وتأثم إذا هي أهملته، وينبغي أن يشارك في هذا المشروع العلماء والمسؤولون في العالم الإسلامي.

ثانياً: يوصي الباحث أن تشتمل دُوْر الحديث على خمسة أقسام، وهي :

القسم الأول – التخصصي:

ومهمته: تكوين علماء متبحرين في الحديث النبوي وعلومه، لتدريس كتب الحديث النبوي، وشروحه، وعلم المصطلح، وعلم العلل، وعلم الجرح والتعديل، وعلم رواة الحديث، والرد على شبهات المستشرقين وغيرهم من أصحاب الأهواء، وبذلك تمد هذه الدار العالم الإسلامي بالمختصين بالحديث النبوي وعلومه.

ومن المقترحات لسير العمل: قراءة الكتب الستة، ومسند الإمام أحمد وغيره، وعلوم الحديث، وشروح الحديث كتاباً بعد كتاب، على شكل دورات منتظمة يعلن عنها، وتقوم هذه الدور بتنظيمها وتنفيذها.

القسم الثاني – الثقافي العام:

ومهمته: إشاعة الثقافة الحديثية في جميع طبقات الأمة: من طلبة العلم، والتجار، والرجال، والنساء، والشباب، والأطفال على غرار مراكز تحفيظ القرآن، والمؤسسات، والهيئات، والجمعيات الراعية له.

ومن المقترحات لسير العمل: قراءة الأربعين النووية، ورياض الصالحين للنووي، وكتاب الترغيب والترهيب للمنذري، ومختصركل من: صحيح البخاري وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وغيرها، وبعض المختصرات في علوم الحديث، وشروح الحديث المختصرة، كتاباً بعد كتاب، على شكل دورات منتظمة يعلن عنها، وتقوم هذه الدور بتنظيمها وتنفيذها.

وأن يكون لها نشاط في المساجد، والبيوت، والمدارس، والمعاهد، والجامعات، والمراكز، والنوادي، والأسواق، والمحلات التجارية، وغير ذلك.

القسم الثالث – قسم البحوث الحديثية: ومهمته:

١ – **كتابة شروح السنة بلغة العصر:** والاستفادة – بضوابط– من معطيات العلوم الأخرى في كل موضوع، كالدراسات العسكرية، والتربوية، والاقتصادية، والاجتماعية، والنفسية، والطبية، والفلكية

٢ – **العمل على إصدار موسوعة حديث الأحكام:**

٣ – **الاهتمام بـ الحديث الموضوعي:** ورصد الدراسات المؤلفة فيه قديما وحديثاً؛ للاستفادة منها في مجال المصطلحات والمفاهيم والأحكام.

٤ – **العمل على إصدار موسوعة الجوانب المعرفية والحضارية في السنة النبوية:** والتأكيد على هذا الجانب من السنة النبوية وإشاعته، والكتابة فيه.

القسم الرابع – القسم الإعلامي:

ومهمته: الاستفادة من التقنيات الحديثة كالإنترنت والفضائيات، ويدعو الباحث إلى عقد دروس وندوات منتظمة: يومياً، وأسبوعياً، وشهرياً لتناول

موضوعات السنة النبوية بالشرح والبيان والتوضيح على أن يتم إعدادها جيداً في الدار مع الأخذ بعين الاعتبار الملاحظات التي ذكرناها في القسم الثالث.

والاستفادة من المناسبات الإسلامية: كيوم الجمعة، وشهر رمضان، وموسم الحج وغيرها.

ومن الأحداث العالمية: كيوم البيئة، ويوم الطفل، ويوم حقوق الإنسان وغيرها، مع بيان سبق السنة النبوية لمعالجة الأزمات، ومنها: الأزمة الاقتصادية، وأزمة الانفجار السكاني، وأزمة الأمن الغذائي، وأزمة توسع المدن والعمران، وأزمة تغير المناخ وغيرها.

وأن تتناول موضوعات السنة النبوية التي تخص تلك المناسبات والأحداث بالشرح والتوضيح، وأن تنقل في عدد من الفضائيات؛ ليعم خيرها، وأن تترجم إلى اللغات الإسلامية، وبعض اللغات الأجنبية.

القسم الخامس – القسم التوثيقي:

ومهمته: الإسراع في العمل على إصدار كتب السنة وعلومها إصداراً إلكترونياً، ثم يوضع على الشبكة العنكبوتية؛ ليستفيد منه الجميع. وأن يعتمد في إصدارها على أصح النسخ المطبوعة، المحققة تحقيقاً علمياً يطمئن إليه أهل الاختصاص، والقيام بتحقيق علمي لما لم يحقق منها، بالاعتماد على نسخ خطية موثوق بها، واستبعاد الطبعات غير العلمية استبعاداً نهائياً، والتحذير منها، فإن كثيراً من الأقراص المدمجة المنتشرة بأيدي الناس غير موثوق بها، ونشهد في هذا المجال فوضى عارمة ينبغي القضاء عليها.

نعم يستثنى من ذلك بعض البرامج، وبعض المواقع، وهي على تفاوت في إتقانها نستطيع أن ننطلق منها بعد إتمام ما فيها من نقص، و إصلاح ما فيها من أخطاء. وأقترح أن تكون هناك دراسات بإشراف جهات علمية تراجع ما صدر منها، فالملاحظات عليها كثيرة.

كما ينبغي أن تتوافر في هذه النسخة الإلكترونية الشاملة قابلية البحث فيها، والنسخ منها، وأن يشارك في هذا المشروع العلماء والمسؤولون في العالم

الإسلامي، وأن يكون موثقا، وأن تكون له مرجعية علمية، ورسمية، وأقترح أن يكون تحت مظلة منظمة المؤتمر الإسلامي على غرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي.

ثالثاً: التأكيد على أن دور الحديث المعاصرة لن يكتب لها النجاح، ولن يضمن لها الاستمرار إلا إذا كان لها نظام مالي مستقل يعتمد نظام الوقف أساساً في تغطية احتياجاتها المادية.

رابعاً: الاتصال بالمؤسسات الخيرية، والرسمية ذات الصلة بالشأن الشرعي، والمحسنين من أهل الخير، وإعطائهم نبذة ودراسات عن هذه الدور، ومدى أثرها في خدمة السنة النبوية؛ ليقوموا بواجبهم في هذا المجال.

خامساً: هناك عدد من دور الحديث التاريخية مازالت قائمة، حبذا تجديدها وإحياؤها، رعاية لحق الوقف والواقف، وخروجاً من الإثم في ضياع هذه الدور.

سادساً: كان لعدد من قادة المسلمين أثر بارز في خدمة السنة، أوصي ببيان هذه الجهود والمآثر، وفاء لهم، وتذكيراً بجميل صنعهم.

المصادر والمراجع

- - الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، لعلي الفارسي، تحـ:شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.

- - الإسناد من الدين وصفحة مشرقة من تاريخ السماع عند المحدثين، لعبد الفتاح أبو غدة، دار القلم، بيروت، ط: ١، ١٩٩٢.

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

- الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ٦، ١٩٨٤،

- إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، لمحمد راغب الطباخ الحلبي، دار القلم العربي – حلب ط: ٢، ١٩٨٩م.

- أعيان العصر وأعوان النصر، للصفدي، دار الفكر، بيروت، ط:١.

- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لأحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية.

- البداية والنهاية، ابن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت.

- برنامج الوادي آشي، لمحمد بن جابر الوادي آشي التونسي، تحـ: محمد الحبيب الهيلة، مطبوعات جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي، مكة، ١٩٨١.

- بغية الملتمس في سباعيات حديث الإمام مالك بن أنس، للعلائي، تحـ: حمدي السلفي، عالم الكتب، ١٩٨٥.

- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، لابن الأثير الجزري، تحـ: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٣.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان، للذهبي، تحـ: بشارعواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٤-٢٠٠٣.

- تاريخ علماء المستنصرية، لناجي معروف، مؤسسة دار الشعب - القاهرة، ط:٣، ١٩٧٥.
- تدوين الحديث، لمناظر أحسن الكيلاني، تعريب: عبد الرزاق إسكندر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
- تذكرة الحفاظ، للذهبي، دار الفكر العربي، بيروت.
- التكملة لوفيات النقلة، للمنذري، تحـ: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط: ٢، ١٤٠١هـ.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، تحـ: مصطفى بن أحمد العلوي، وزارة الأوقاف المغربية، المغرب.
- تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، تحـ: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٩٩٢.
- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، للصنعاني، تحـ: محمد محي الدين عبد الحميد، مصورة دار الفكر، بيروت.
- الثقات، لابن حبان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٩٨.
- الجامع الصحيح، لمسلم بن الحجاج، دار الأرقم، بيروت، ط: ١، ١٤١٩/ ١٩٩٩.
- الجامع للإمام محمد بن عيسى الترمذي، دار الأعلام، الأردن، ط:١، ١٤٢٢هـ/١٠٠٢م.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب الحنبلي، تحـ:شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٧، ٢٠٠١.
- الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الحوادث الجامعة، لابن الفوطي، طبعة بغداد، ١٣٥١هـ.

- خطط الشام، لمحمد كرد علب، المطبعة الحديثة - دمشق، ١٣٤٣هـ.
- دار الحديث الأشرفية بدمشق، لمحمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط: ١، ٢٠٠١.
- دار الحديث السكرية، لمحمد مطيع الحافظ، دار البشائر الإسلامية، ط١، بيروت، ١٤٢٤-٢٠٠٢.
- دار السنة، دار الحديث النورية بدمشق، لمحمد أبي الفرج الخطيب الحسني، بعناية محمد مجير الخطيب، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٢٣- ٢٠٠٢.
- الدارس في تاريخ المدارس، لعبد القادر النعيمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت.
- دائرة المعارف الإسلامية، لمحمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت.
- موجز دائرة المعارف الإسلامية، جي. بريل، إعداد وتحرير نخبة من العلماء بإشراف إبراهيم زكي وزملائه، مركز الشارقة للإبداع الفكري ط:١- ١٩٩٨.
- دور الحديث في العالم الإسلامي، للحسين وكاك، منشورات كلية الشريعة بأكادير-جامعة القرويين، المغرب، ط:١، ١٩٩٠م.
- ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، ط السنة المحمدية، القاهرة، ١٣١٢هـ.
- ذيل تذكرة الحفاظ، لشمس الدين الحسيني الدمشقي، دار الفكر العربي، بيروت.
- ذيل طبقات الحفاظ، للسيوطي، دار الفكر العربي، بيروت.
- ذيل العبر في خبر من غبر، للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الرسول المعلم ﷺ، وأساليبه في التعليم، لعبد الفتاح أبي غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤١٧-١٩٩٧.
- الروضتين في أخبار الدولتين، لأبي شامة المقدسي، دار الجيل، بيروت.

- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، دار ابن حزم، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٢.
- السنة مصدرا للمعرفة والحضارة، ليوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة.
- السنن الكبرى للبيهقي، مصورة دار الفكر – بيروت.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤١٠-١٩٩٠.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار الفكر – بيروت.
- شرح التبصرة والتذكرة للعراقي، دار الكتب العلمية– بيروت
- شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، تحـ: محمد سعيد خطيب أوغلو، مكتبة ابن تيمية، مصر.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا لأحمد بن علي القلقشندي، دار الفكر – بيروت.
- الضعفاء الكبير، للعقيلي، تحـ: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٨٤.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب السبكي، تحـ: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، طبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة، ١٩٦٤.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، تحـ: محمد أجمل الإصلاحي، المجمع الإسلامي، جدة، ط:١، ١٤٢٩.
- فتاوى الإمام تقي الدين السبكي، تحـ: حسام الدين القدسي، دار الجيل – بيروت.
- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي، تحـ:عبد الكريم الخضير، ومحمد بن عبد الله آل فهيد مكتبة دار المنهاج – الرياض، ط:٢، ١٤٢٨.

- فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحـ: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.
- الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، تحـ: عادل أحمد وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٩٧.
- العبر في خبر من غبر، للذهبي، دار الكتب العلمية.
- الغاية شرح الهداية في علم الروايةللسخاوي، تحـ: أبوعائش عبد المنعم، مكتبة اولاد الشيخ للتراث، مصر، ط:١، ٢٠٠١.
- لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، لابن فهد الهاشمي المكي، دار الفكر العربي، بيروت.
- مجالس في تفسير قوله تعالى ﴿لقد من الله على المؤمنين﴾، لابن ناصر الدين الدمشقي، تحـ: محمد عوامة، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٤٢١-٢٠٠١.
- مدرسة الحديث في بلاد الشام خلال القرن الثامن الهجري، لمحمد بن عزوز، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط:١، ٢٠٠٠م.
- المدرسة الظاهرية (دار الكتب الوطنية)، لأسماء الحمصي، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٦٧.
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، لسبط ابن الجوزي، حيدر آباد، ١٣٧٠.
- معرفة الصحابة، لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ٢٠٠٢.
- مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، لأبي العباس أحمد بن علي المقريزي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، لأحمد شلبي، مكتبة النهضة، القاهرة.
- نشاة الكليات: معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب، لجورج المقدسي،

ترجمة: محمود سيد محمد، مركز النشر العلمي- جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط:١، ١٩٩٤م.

- النكات الوفية بما شرح الألفية، لبرهان الدين إبراهيم البقاعي، تحـ: ماهر الفحل، مكتبة الرشد، الرياض، ط: ١، ٢٠٠٧.
- اللمعات البرقية في النكت التاريخية، لابن طولون الدمشقي، تحـ: محمد خير رمضان يوسف، بيروت، ط:٢، ١٩٩٤.
- الوافي بالوفيات، للصفدي، بإشراف جمعية المستشرقين الألمانية، بيروت، ١٩٦٢.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحـ: إحسان عباس، دار صادر- بيروت.
- الوفيات، لتقي الدين محمد بن رافع السلامي، تحـ: صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط:١، ١٤٠٢.
- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكرفي مصطلح أهل الأثر، لابن حجر العسقلاني، تحـ: د.عبد السميع الأنيس، دار عمار- الأردن، ط١، ١٤١٩.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، دار ابن الجوزي، السعودية.

المراجع الأجنبية:

- Ash'ar and the Ash'arites in Islamic Religious History I Author(s): George Makdisi Source- Studia Islamica, No. 17 (1962), pp. 44-45 Published by- Maisonneuve & Larose.
- Rise of Colleges- Institutions of Learning in Islam and the West. Author - George Makdisi, (1981), pp. 211-212 Published by- Edinburgh university press.